909.204
13/176

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945
قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية — قسم التاريخ والآثار
التخصص : التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان :

الوجود المصري العثماني في السودان 1821 - 1885م

إعداد الطالبة :
نجوى عريان

إشراف الأستاذ :
الحواس غربي

لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
		رئيسا	
		مشرفا ومقررا	
		عضوا مناقشا	

السنة الجامعية : 2013/2012 م - 1434/1433 هـ

قال تعالى:

"نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم"

(الآية 76 :سورة يوسف)

"عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"

- رواه أبو داود والترمذي -

"الإهداء"

إلى منارة العلم والإمام المصطفى إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق، إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين...

إلى من هما في الدنيا سعيدان وفي الاخرة شهيدان وفي الجنة خليدان ومن النار بعيدان أملة لهما طول العمر اللذان قال فيهما الرحمن "وبالوالدين إحسانا"

إلى من سهرت هي ونمت أنا ملأ الأجفان...الى من بدعائها أنارت لي طريقي وسط الظلام...الى جوهرة القلب ومقلة العين إلى نبع الحنان وكهف الأمان... أمي الغالية:

"مسعودة"

إلى صانع ذاتي وقدوتي...الى من علمني أن الحياة أمل يبقيها عمل وينهيها اجل...

إلى أبي الغالي: *"احمد"* ... أطال الله عمرهما...

إلى من كانوا لي سندا في هذه الحياة...

إلى من تللوا لي الصعوبات...الى أشقائي:

"نبيل، ياسين" وخاصة أخي العزيز *"بدر الدين"* الذي لطالما كان لي مثال القدوة في الصبر والإيمان

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة...إلى رياحين حياتي...شقيقاتي:

"سليمة، وصال، عزيزة" وأزواجهن وبالأخص أختي الحبيبة فتيحة"...وكل عائلة *"عريان وحبيزي"*

إلى زوجي و شريك حياتي: *"العواس حربي"* وعائلته الكريمة".

إلى براعم العائلة: *"حياة الدين، آلاء، آية الرحمان"*.

إلى التي رافقتني مشوار الدراسة صديقتي: *"أمال"*.

إلى كل شهداء الوطن الأبرار...

الى كل من يقرأ هذا البحث...

بـ[illegible] و وفاء أهدي ثمرة جهدي...

نجوى عريان

"شكر وعرفان"

* "الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

حمدا كثيرا يعدد خلقه ومداد كلماته ومنتهى علمه وآياته*

بداية أتوجه بالشكر الجزيل والحمد الكثير لله سبحانه وتعالى على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل المتواضع مصداقا لقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم" فالحمد لك ربّنا على ما وهبتنا.

لأوجه بعد ذلك الشكر الكبير وأسمى عبارات الامتنان والتقدير إلى مفتاح متاهتي وصانع ابتسامتي...إلى قارئ كلماتي ومذلل صعوباتي...إلى أستاذي ومشرفي وشريك حياتي "الحواس مروي" الذي كان لي سندا ساقني إلى نور النجاح....

كما أرفع شكري إلى من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر، إلى من صاغوا لي من علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لي سيرة العلم والنجاح إلى جميع أساتذتي بدءا بأولئك الذين علّموني أولى الحروف إلى من سلّموني الأمانة حتى أكون خير خلف لخير سلف...

*** لكل هؤلاء أسمى عبارات الشكر والعرفان ***

المقدمة

يبدو أن القارة الإفريقية لم تعتبر كيانا تاريخيا له ذاتيته المميزة، فمن الأحكام القوية التي راجت في الأوساط التاريخية هو أن هذه القارة لم يكن لها أي نصيب من التراث الحضاري بشكل عام، وعلى الرغم من أن البعض يعتقد أنها قد تكون الوطن الأول للإنسان، بيد أن معظم الدراسات السابقة بمختلف صورها أخفت عن العالم ولزمن طويل التاريخ الحقيقي للقارة، فظلت معرفة العالم الخارجي بها أو على الأقل بما في داخلها ضعيفة حتى القرن التاسع عشر، حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية، التي أسدلت الستار عن خبايا هذه القارة الواسعة والتي كثيرا ما أهمل ماضيها ولم يلق الاهتمام الكافي من الدراسة من قبل الباحثين والدارسين؛ لذلك كانت تعرف بالقارة المظلمة أو السوداء.

ويعتبر سودان وادي النيل بمميزاته الجغرافية الفريدة، واحدا من أقطار القارة الإفريقية الهامة، من خلال التعقيد الجلي في تركيبته؛ فهو يحتوي على مزيج من الثقافات العريقة نتيجة ارتباطه بحضارات وادي النيل المختلفة التي تشكل بدرجات متفاوتة الروافد التاريخية لمجموعة من الشعوب تربط بينها روابط عريقة، ولقد كانت الحضارة المصرية أكثر تلك الحضارات ارتباطا بالسودان، ذلك أن تاريخ العلاقات المصرية السودانية ضارب في القدم، حيث شهد نهر النيل قيام هاتين الحضارتين، فكان هذا امتدادا للعلاقات التي جمعت بين الدولتين في العصر الحديث والتي اتسمت بخصوصية فريدة من نوعها تحكمت فيها ظروف مختلفة أثرت على طبيعة هذه العلاقات، و نلمس ذلك بوضوح في القرن التاسع عشر.

انطلاقا من هذا وقع اهتمامي على دراسة الفترة التي شهد فيها السودان الحكم المشترك المصري العثماني ما بين 1821م- 1885م.

ويعود اختياري لهذا الموضوع لاعتبارات عديدة نذكر منها:

- أن هذا الموضوع يعد حلقة من حلقات البحث في سلسلة التاريخ الغامض لإفريقيا، الذي لابد من الخوض في غمار دراسته.
- أن البحث في مثل هذه المواضيع الشائكة يتطلب حرصا وجهدا مضاعفا، كما يبعث في الباحث روح التطلع فيجعل منه شيق الدراسة.
- يعتبر هذا الموضوع واحدا من الدراسات الإفريقية الحديثة الهامة الجديرة بالبحث.

- وأكثر ما دفعني لدراسة هذا الموضوع، هو الفضول والرغبة في التعرف واكتشاف هذه الحقبة من تاريخ السودان.

يطرح الموضوع إشكالية رئيسية تمحورت حول طبيعة الوجود المصري العثماني في السودان خلال الفترة الممتدة ما بين 1821م-1885م، ويندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات أهمها: ماهي الظروف التاريخية والجغرافية التي كان يعيشها السودان قبل حملة محمد علي باشا؟ وفيما تمثلت دوافع هذه الحملة ؟ وما موقع الحملة المصرية من المصطلحات الآتية: غزو أو استعمار؟ أم أنه مشروع تواصل واتحاد مع السودان؟ وما موقف السودانيين تجاه هذا الوجود؟ وبما اتسمت الأوضاع السائدة خلال الحكم المصري بالسودان؟ وكيف كانت نهاية هذا الحكم؟.

أما عن الإطار المكاني فيمكن حصره في منطقة سودان وادي النيل التي يمثلها السودان الحالي. وفيما يخص زمن الموضوع فيغطي 74سنة من الحكم المصري في السودان، فكانت سنة 1821م بداية فرضتها طبيعة الموضوع على اعتبار أنها سنة الحملة على السودان، إلى غاية عام 1885م تاريخ سقوط الخرطوم على يد قوات المهدي، باعتبار هذا التاريخ بداية للحكم المحلي في السودان والمتمثل في الدولة المهدية.

وللإجابة على هذه التساؤلات، اتبعت المنهج السردي التحليلي، وعنونت الموضوع بـ:

" الوجود المصري العثماني في السودان 1821م- 1885م "

واخترت له خطة مكونة من ثلاثة فصول وخلاصة إضافة إلى مجموعة من الملاحق.

أما عن الفصل الأول فكان بعنوان **"السودان قبل حملة محمد علي باشا"** تضمن أربعة مباحث تناولت فيه جغرافية السودان من حيث أصل تسميته مع تحديد الموقع الفلكي له، وكذا أصل السكان وأهم السلالات المكونة له، كما تطرقت فيه إلى أبرز السلطنات والممالك التي كانت موجودة قبل الحملة؛ وهي سلطنة الفونج في سنار التي ظهرت على يد القائد عمارة دنقس مع بداية القرن السادس عشر، وسلطنة الفور في دارفور التي قامت خلال القرن السابع عشر، وسلطنة تقلي التي قامت بين مملكتي الفونج والفور في أوائل القرن السادس عشر، كما نجد سلطنة الكشاف في النوبة، إضافة إلى أنني قد تتبعت المراحل

التاريخية للسودان عبر العصور، لأنتقل إلى دراسة الجذور التاريخية للعلاقات المصرية السودانية ومدى تأثيرها على الأوضاع لدى البلدين حينذاك.

وفيما يخص الفصل الثاني، فقد كان بعنوان " **حملة محمد علي باشا على السودان**" ضمنته أربعة مباحث تطرقت فيه إلى إبراز أهم الأسباب والدوافع التي كانت وراء هذه الحملة، كما تحدثت فيه عن وقائع سير الحملة منذ بدايتها إلى غاية إخضاع معظم أنحاء السودان للحكم المصري، مع ذكر التنظيمات الإدارية للبلاد في عهد محمد علي، وأهم الحكام الذين تعاقبوا على حكم السودان خلال عهد الباشا علي على مدى 29عاما.

ويليه الفصل الثالث الذي جاء بعنوان "**خلفاء محمد علي باشا والثورة المهدية**" تناولت فيه سياسة الحكام المصريين الذين تعاقبوا على الحكم بعد وفاة محمد علي ابتداء من عصر عباس الأول الذي عرفت إدارته للسودان اضطرابا ملحوظا ترك بصمته في عهد خليفته محمد سعيد باشا الذي لم يأت بالجديد سوى أنه فتح المجال للتدخل الأجنبي في أوضاع السودان، ثم يليه عصر إسماعيل باشا الذي كان على شيء ليس بالقليل من الضعف والاضطراب الأمر الذي أثار حفيظة الأهالي، لأنتقل بعد هذا للحديث عن الثورة المهدية مع ذكر أسبابها ومراحل سيرها وصولا إلى ظهور الدولة المهدية وبداية الحكم المحلي.

وأخيرا ختمت دراستي بخلاصة تحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها، واتبعتها بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع.

و لكي تكون هذه الدراسة شاملة، فقد اطلعت على قدر كاف ومتنوع من المصادر والمراجع لإثراء الموضوع، ومن أهم هذه المصادر والمراجع ما يأتي:

كتاب نعوم شقير "**جغرافية وتاريخ السودان**" الذي يعد أحد الكتب الموسوعية الشاملة، فضلا عن أنه شاهد عيان على الفترة المدروسة فقد ساعدني من خلال استوفائه لأدق الأحداث التاريخية للسودان، إضافة إلى مؤلفات مكي شبيكة وهي:

"**السودان عبر قرون، السودان في قرن، مختصر تاريخ السودان الحديث، ومقاومة السودان للغزو والتسلط**"، هذه المؤلفات تناولت تاريخ السودان في الفترة التي تلت دخول جيوش محمد علي وما تبعها من أحداث خاصة الثورة المهدية.

كتاب "**السودان بين يدي غوردن و كتشنر**" لإبراهيم فوزي باشا يعد مصدرا أساسيا للفترة المدروسة باعتباره شاهد عيان على ثورة المهدي من خلال مرافقته لغوردون في مهمته إلى السودان.

كتاب" **السيف والنار**" للمؤلف سلاطين باشا الذي يعد من المصادر الأولى لتاريخ السودان في تلك الفترة حيث فيه سرد تفصيلي للوقائع التاريخية في السودان عموما وخاصة في إقليم دارفور.

كتاب "**تشحيذ الأذهان في بلاد العرب والسودان**" للتونسي الذي ساهم في إعطائي لمحة عامة عن الممالك والسلطنات الإسلامية في السودان.

أما عن المراجع المعتمد عليها فنذكر منها:

مؤلفات شوقي الجمل "**تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**"، الذي يعتبر موسوعة تاريخية تتحدث عن تاريخ العلاقات التي جمعت بين مصر والسودان، بالإضافة إلى "**تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**" الذي اشترك في تأليفه مع المؤرخ عبد الله عبد الرزاق وقد تناول مختلف الأحداث التاريخية للبلدين؛ وخاصة فترة حملة محمد علي على السودان.

كتاب "**مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر**" لمؤلفه محمد فؤاد شكري يعتبر من المؤلفات المهمة التي أرخت للبلدين في الفترة الحديثة.

هذا وقد اعتمدت مجموعة من المصادر الأجنبية أهمها:

Hill.R, **Egypt in the Sudan**, Oxford, London, 1935.

C. T. Wilson, M. A, **Uganda and the Egyptian Sudan**, Two Vol, Printed by William Clowes and Son, London, 1882, volII.

Wingate, **Mahdism and the Egyptian sudan**. Being an accourt Of the rise and progress of mahdissm and of the subsequent events in the Sudan; Londan, 1891.

ومهما يكن، فإن هذه الدراسة تحمل في ثناياها الكثير من الصعاب أهمها ندرة المصادر التي تخدم موضوع الدراسة إضافة إلى كثرة التناقضات بالمراجع المعتمد عليها مما زاد غموضا للموضوع وهو ما يتطلب مني الحرص واليقظة عند تناولها، مما صعب مهامي وأنا في هذه المرحلة من الدراسة التي تعوزني فيها الخبرة والتجربة.

وأخيرا أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف " الحواس غربي" الذي كان لي سندا طوال مدة البحث من خلال توجيهاته ونصائحه القيمة.

الفصل الأول

السودان قبل حملة محمد علي

1 - السودان جغرافيا:

أ - التسمية

ب - السكان

ج - الموقع الجغرافي

2 – السلطنات والممالك في السودان:

أ- مملكة الفونج

ب- مملكة الفور

ج- سلطنة تقلى

د - سلطنة الكشاف في النوبة

3 – السودان تاريخيا:

أ- حضارة المجموعتين الأولى والثانية

ب - التفاعل مع شبه الجزيرة العربية

ج - المجموعة الحضارية الثالثة

د - دخول الإسلام السودان

4- جذور العلاقات المصرية السودانية:

1 - السودان جغرافيا:

أ – التسمية:

كان قدماء المصريين يطلقون اسم "تانهسو" على المنطقة الواقعة جنوب مصر ويعنون بهذا اللفظ بلاد السود، في حين ورد الاسم "اثيوبيا" في كتاب الإلياذة مرتين، وفي الأوديسا ثلاث مرات للدلالة على المنطقة ذاتها، وهو اسم مركب من لفظين باللغة الإغريقية وهما:

- ايثو (aitho) بمعنى المحروق.
- أوبسيس (opsis) أي الوجه.

وبذلك يصبح اللفظ اثيوبيا Aethiopia باللغة الإغريقية مرادفاً لبلاد الوجوه المحروقة أو البشرة البنيّة أو السوداء اللون.

كذلك ورد اللفظ اثيوبيا في كثير من تراجم الكتاب المقدس (العهد القديم) بالمعنى ذاته وللدلالة على المنطقة جنوب مصر، وتحدثت الترجمة اليونانية للكتاب المقدس(العهد الجديد) عما وصفته بخادم اثيوبي للملكة النوبية الكنداكة، لكن النصوص العبرية في التوراة ذكرت اسم بلاد كوش مرات عديدة (37 مرة) للإشارة إلى بلاد النوبة، جنوب مصر، حيث نقرأ: "من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام وشنعار ومن حماة ومن جزائر البحر"(أشعياء 11: 12)[1].

وعُرّف كوش بأنه هو ابن حام ابن نوح، وقد أطلق الأباطرة الأحباش على بلادهم اسم أثيوبيا بدلا من الحبشة تماشياً مع الملك الحبشي إيزانا الذي احتل مروى عاصمة مملكة اثيوبيا -الواقعة في شمال السودان حالياً - والذي أطلق على نفسه ملك ملوك أثيوبيا.

وجاء في موسوعة حضارة العالم أن المؤرخ اليوناني الشهير هوميروس قد ذكر بأن الآلهة كانوا يجتمعون في السودان في عيدهم السنوي، كما ذكر عاصمتها مروى، ووفقاً لديودورس فإن السودانيين هم من أوائل الخلق على وجه البسيطة، وأنهم أول من عبد الآلهة وقدم لها القرابين، وأنهم من علّم الكتابة للمصريين، وفي العهد المروي كانت العلاقات

(1) صلاح الدين علي الشامي، السودان دراسة جغرافية، دار المعارف، الإسكندرية، 2002م، ص12.

وُدية بين البطالسة والسودانيين، لاسيما في عهد بطليموس الثاني، كما كانت العلاقة وثيقة بين كوش واليونان[1].

ولم يكن لفظ السودان معروفا قبل التوسع العربي، فقد جاء استخدام هذا اللفظ على أوسع مدى وبكثافة حجبت كل الأسماء العتيقة الأخرى من بعد القرن الثامن ميلادي، ويعبر لفظ السودان في اللغة عن جمع الجمع بكلمة أسود فقد شد انتباه العرب لون البشرة الغالب على سكان المساحات والأقاليم الواسعة من إفريقيا فيما وراء الصحراء الإفريقية الكبرى ومن ثم انحدر منه ذلك اللفظ .

وقد أطلق العرب كلمة "السودان" على كل البلاد الواقعة جنوبي مصر وجميع المناطق التي يسكنها السود، حيث نسبوا المنطقة إلى سكانها ويدخل ضمن هذه الأرجاء السودان الدولة المعروفة الآن والتي تشمل جزءا كبيرا من وادي النيل[2].

وقد عرف إقليم السودان بعدة تسميات يرجع البعض منها إلى جماعات قبلية أو سلطة ذات شأن[3]، ومن بين هذه التسميات "النوبة" والذي لم يعرف إلا في العصر الروماني وقد أطلق على المنطقة الواقعة جنوبي الحدود السياسية للجمهورية العربية المتحدة بلا تحديد واضح، وينقسم هذا الاسم بدوره إلى قسمين:

أ- **النوبة السفلى:** ويطلق على المنطقة التي تمتد تقريبا من الحدود الجنوبية للجمهورية العربية المتحدة حتى منطقة الشلال الثاني على النيل.

ب- **النوبة العليا:** وهي تمتد إلى الجنوب من الشلال الثاني حتى دنقلة وربما إلى أبعد من ذلك جنوبا.

وعلى كل حال فقد أطلق على الجزء الشمالي للمنطقة اسم "واوات"، والجزء الجنوبي حمل اسم "كوش" فأضحى علما على المنطقة كلها بما في ذلك النوبة وشمال السودان، كما انه عرف أيضا باسم "إثيوبيا" الذي أطلقه اليونان في العصور السابقة للميلاد على المناطق الواقعة جنوب مصر وشرق إفريقيا ، وجاء في الآثار المصرية القديمة، ذكر إثيوبيا التي

(1) محمد ابراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر، د.ت، ص8.

(2) محمود شاكر، السودان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م، ص9.

(3) الشاطر البصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن 07إلى القرن 19م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972م، ص29.

أشير إليها بـ: كوش، أما بالنسبة للعرب القدامى فقد أطلقوا عليها اسم "**بلاد الزنج**" فيما بين القرنين التاسع والثاني عشر ميلادي[1].

كما أطلق الجغرافيون العرب مصطلح "**بلاد السودان**" ليشمل مناطق السافانا التي تتوسط الصحراء الإفريقية الكبرى في الشمال، والغابات الاستوائية في الجنوب وتمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، وقسم هذا الحزام السوداني إلى ثلاثة أقاليم رئيسية من الغرب إلى الشرق وهي: السودان الغربي، السودان الأوسط، والسودان الشرقي ويشمل هذا الأخير ما يسمى "**سودان وادي النيل**"، وهو ما يعرف حاليا بـ: "**جمهورية السودان**"، وهي تلك الرقعة الواقعة جنوب مصر في الجزء الأوسط من حوض النيل[2].

ب - السكان:

سكن الإنسان منطقة السودان العربية منذ أقدم عصور التاريخ، فقد كان يعيش في المنطقة التي تقع فيها مدينة الخرطوم حاليا جنوبي مقرن النيلين أناس يصطادون السمك بحراب مدببة الأطراف، ويجمعون الفاكهة البرية ويعود هؤلاء السكان في أصولهم الأولى إلى العناصر الحامية الشرقية التي عاش أقوام منها في شمالي وادي النيل، وآخرون في شرقي السودان - الذين ندعوهم باسم البجاة-، وأقوام في الحبشة والصومال، وقد وصلت هذه العناصر الحامية إلى المنطقة من الجنوب قادمة من الجزيرة العربية عن طريق باب المندب وكانت هذه الأقوام أقدم سكان تلك الأرض.

وعموما فسكان السودان عبارة عن خليط من قبائل متعددة تجمع بينهم أصول خمسة هي:

1- **السود:** يعرفون أيضا بالزنوج والعبيد، أصلهم إفريقي وينقسمون إلى ثلاث مجموعات:

أ- النيليون: يتكونون من قبائل الدينكا والنوير والشلك والأنواك يتواجدون بكثرة بأعالي النيل وبحر الغزال[3].

---

(1) أمل عجيل، **قصة وتاريخ الحضارات العربية**، موسوعة تاريخية جغرافية حضارية أدبية- ليبيا والسودان والمغرب - الجزء 19- 20، دار بيروت، 1999م، ص53.

(2) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، مصر، 1999م، ص19، 20.

(3) Roland Oliver, **The Middle Age Of African History**, Oxford University Press, London, First Publiched, 1962, p47.

ب- النيليون الحاميون: يتكون هؤلاء من قبائل المورلي والديدنقا واليوبا والتبوسا واللاتكا ويعيش معظمهم في المنطقة الاستوائية.

ج- السودانيون: تتكون هذه المجموعة من قبائل صغيرة تتركز بالجزء الغربي والجنوب الغربي من المنطقة الاستوائية، وهي تشمل خليط من النيليين الحاميين والسودانيين[1].

2- **شبه السود:** هم أقدم الأعراق بعد السود وينقسمون بدورهم إلى قبائل عدة أهمها: الفور البرقد، الداجو، المساليت والزغاوة.

3- **البجة:** أوالبجاة وهم سكان بادية الصحراء الشرقية، وهم أيضا ينقسمون إلى عدة قبائل أشهرها: العبابدة، البشارين، الأمرار، الحلانقة وبنو عامر.

4- **النوبة:** يتواجدون في وادي النيل ما بين الشلال الأول والرابع يتكونون من ثلاثة أجناس النوبة الأصليون، العرب والأتراك.

5- **العرب:** يمثلون أغلبية سكان السودان، يمتازون عن باقي السكان بالكرم والرقي والحضارة، ويرجعون في معظم أصولهم إلى بني أمية وبني العباس وقد هاجر هؤلاء إلى السودان عن طريق البحر الأحمر، ومن أشهر القبائل العربية: العبدلاب، المناصير الكواهلة، الميرفاب، الفونج، دغيم، التعايشية، المسيرية، الحسانية، والكبابيش[2].

وفيما يخص الأقوام التي هاجرت إلى السودان عن طريق مصر أو غيرها من زمان غير بعيد، فيعرفون بالأجانب.

(1) محجوب بشا، التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1972م، ص12 .13

(2)عفاف تاوركاني، جبال النوبة عبرتنوع الطائد وجدل المعتقدات في السودان، أروا للطباعة، السودان،1997م ص11.

ج - الموقع الجغرافي:

يعد السودان أكبر دولة إفريقية من حيث المساحة التي تمتد على2505813 كلم^2 [1] فهو يقع بين خطي عرض3° و23° وبين خطي طول29°و 39° شرق خط غرينيتش كما أن له حدودا مشتركة مع عدد من الدول فتحده من الشمال جمهورية مصر العربية ومن الشرق الحبشة واريتريا ومن الغرب إفريقيا الوسطى وتشاد ومن الشمال الغربي ليبيا إضافة إلى أنه يطل على البحر الأحمر[2]، وبالتالي فالسودان هو منطقة تماس واتصال جغرافي وحضاري ما بين شعوب القارة الإفريقية إلى الشرق والغرب من النيل، وبالتالي فالسودان عبارة عن خليط من أجناس، ثقافات، سلطنات وممالك عدة تلتقي بشتى نماذجها في أعماق السودان، وهكذا تكون السودان[3].

ويحتل السودان قطاعا كبيرا من الوطن العربي على امتداد الأرض الإفريقية وينشر امتدادا على محور عام من الشمال إلى الجنوب استمرارا لأرض مصر في الركن الشمالي الشرقي من إفريقيا وفي المركز القلب من الأرض العربية التي تمتد فيما بين المشرق والمغرب العربي؛ وهذا أمر يدعو إلى الإيمان بنتيجتين:

- أن السودان كجزء من الأرض العربية عامة تلحق به صفات وخصائص بما يوصف به الموقع الجغرافي الحاكم للوطن العربي.

- أن السودان الذي يقع جنوب مصر ازداد أهمية موقعه الجغرافي على اعتبار أن أرضه تمثل العمق الإستراتيجي للأرض المصرية.

وتمثل أرض السودان- في موقعها وأدائها دور العمق الإستراتيجي لمصر خاصة والوطن العربي عامة - توغلا في الجنوب فيما وراء الصحراء الإفريقية الكبرى، كما يحتل القطاع الأكبر من مساحات يشملها حوض النيل الأوسط وروافده الحبشية العظمى وهي: السوباط والمجرى الأوسط والأدنى ككل من النيل الأزرق، كما يدعو النيل لأن يوغل

(1) شرقي أبو خليل، **أطلس دول العالم (جغرافي، تاريخي، اقتصادي)**، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999م.

(2) محمد محمود مصطفى، **جغرافية الوطن العربي**، مكتبة المجتمع العربي، الأردن، ط1، 2005م، ص218، وانظر DIMITRI MEEKS .etc. **EGYPTE.LE NILE Egyptien et soudanais de delta** akhartoum .Libraire hachette.paris.1971.P741.

(3) محمد أبو القاسم حاج محمد، **السودان-المأزق التاريخي وافاق المستقبل**، دار الكلمة للنشر، لبنان، ط1، 1980م ص17.

السودان في قلب الأرض الإفريقية ويصل أقصى حد لهذا التوغل في اتجاه الجنوب وصولا إلى المنحدرات الصاعدة إلى الهضبة الاستوائية[1].

ومن ثم يوصف هذا الامتداد المتوغل إلى خط العرض4° شمالا بأنه كرأس الرمح في الجسم الإفريقي مرة، وكرأس الجسر إلى القلب القاري الإفريقي مرة أخرى، كما يشرف السودان على البحر الأحمر بجبهة بحرية تساعد على جميع التحركات في شكل ذراع مائية تمتد على محور عام من الجنوب إلى الشمال، وعدت هذه الذراع من أهم واخطر حلقات الوصل بين المحيط الهندي ومجموعة الدول الأخرى من حوله، وبين البحر المتوسط ومن ورائه المحيط الأطلنطي الشمالي ومجموعة الدول من حوله.

ومثلت أرض السودان قطاعا كبيرا من امتداد الأرض في القسم التضاريسي الأعظم في افريقيا الذي نعرفه باسم افريقيا السفلى.

كما أن للسودان حصة من الأحواض المتناثرة على سطح افريقيا السفلى مصفوفة على محور عام من الجنوب إلى الشمال كما أن له حصة من الكتل الجبلية التي تنتشر على السطح وتمثل أكثر معالم التضاريس وضوحا، بالإضافة إلى أن موقع السودان ملتحم بأطرافه من الجنوب وبالهضبة الاستوائية والهضبة الحبشية وامتداد البحر الأحمر[2].

(1) صلاح الدين علي الشامي، المرجع السابق، ص27.
(2) نفسه، ص28.

2 – السلطنات والممالك في السودان:

انتشرت في السودان ممالك عدة انطبعت بالطابع القبلي فأصبحت أسماؤها مقرونة بالعصبية القبلية كمملكة الفونج، الفور، تقلى، الشايقية...الخ، غير أن أشهر تلك القبائل من حيث السيادة والنظم الاجتماعية والتي وصلت إلى الملك ما يلي:

أ- مملكة الفونج(1505-1820م) وعاصمتها سنار.

ب- سلطنة الفور (1637-1875م) وعاصمتها الفاشر.

ج- مملكة تقلى(1570م إلى أواخر القرن التاسع عشر في جبال النوبة)[1].

د- سلطنة الكشاف في النوبة.

أ- مملكة الفونج:

اختلف المؤرخون حول تحديد أصل الفونج الذين يدعون أنهم من نسل الأمويين، فيعتقد البعض أنهم عرب قدموا إلى شرق إفريقيا في القرون التي تبعت ظهور الدين الإسلامي واستقروا في تلك المنطقة ثم توجهوا نحو الشمال حتى وصلوا إلى القرب من منطقة طوكر ومن ثم دخلوا إلى الجزيرة في نهاية القرن 15م[2]، لكنهم لما وصلوا إلى منطقة النيل كانوا على الدين الإسلامي ويتحدثون اللغة العربية[3]، وبعض المؤرخين يذهب إلى أن أصل الفونج يرجع إلى بعض القبائل التي استطاعت أن تتحالف مع بعضها وتقضي على البيت الحاكم في مملكة علوة وتأخذ مكانه وكان ذلك في بداية القرن 16م، هذا وقد ذهبت بعض الآراء إلى أنهم من قبيلة الشلك، حيث يرى بوكهارت أن العنصر العربي غالب على تكوينهم وأنهم يدينون بالإسلام[4].

أما عن كيفية وصولهم إلى السلطة، فقد عرف الفونج كيف يحصلون على تأييد القبائل العربية ودعمها، والسر في ذلك أنهم لم يقمعوها بل اعتبروا أنفسهم حامين للعرب وذلك مقابل جزية سنوية.

---

(1) أمل عجيل، المرجع السابق، ص61.
(2) عبد الجليل الشاطر البصيلي، المرجع السابق، ص219.
(3) أمل عجيل، المرجع السابق، ص62.
(4) جون لويس بوكهارت، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أند رواس، مطبعة المعرفة، القاهرة 1959م، ص33.

جاء نهوض مملكة الفونج مع احتلال العثمانيين لمصر والشام والعراق فهاجر الكثيرون من الدول إلى السودان، أبرم الفونج معاهدة مع قبيلة العبدلاب للقضاء على علوة المسيحية في جنوب الخرطوم، وأسست هاتان القبيلتان مملكة إسلامية أطلق عليها اسم السلطنة الزرقاء أو مملكة سنار أو الفونج، حيث يقول التونسي في هذا الشأن أن مملكة سنار هي مملكة الفونج نفسها وهي المعروفة في السودان باسم السلطنة الزرقاء حيث قامت هذه المملكة على أنقاض مملكة علوة المسيحية أوائل القرن 16م، واحتل مركز الرئاسة في هذه المملكة عمارة دنقس من قبيلة الفونج وكان وكيله عبد الله جماع مؤسس شيخ عرب القواسمة من جهينة، وقد امتدت مساحة هذه المملكة من سواكن شرقا إلى النيل غربا ومن أقصى جبال فازو غلي جنوبا إلى الشلال الثالث شمالا[1].

وفيما بعد أصبحت مدينة سنار العاصمة واتفق على أن يكون لشيوخ الفونج الزعامة فكان نظام الحكم في هذه السلطنة عبارة عن مشيخات يتولى أمر الحكم فيها زعماء قبليون يستمدون السلطة في إقليمهم بمراسيم وتقاليد موروثة عن النظم السابقة للدولة الإسلامية في السودان، وظل الملوك يتناوبون على الحكم في سنار حتى 1821م عندما سلم اخر ملك فونجي وهو بادي السادس المملكة إلى الجيوش المصرية[2].

ب- مملكة الفور:

اختلفت الروايات التي تؤرخ لنشأة مملكة الفور في التفاصيل إلا أنها غالبا تتفق على أن أصلهم عربي يعود إلى تلك القبائل الوافدة للسودان الغربي من مراكش ومصر، حيث اندمجت هذه القبائل مع العناصر الأصلية المتواجدة في تلك الجهات وصاهروهم فنتج عن هذا التصاهر عنصر جديد هو شعب الفور، ومع بداية ظهور هذه المملكة في أوائل القرن 17م لم تكن كسلطنة قوية الجانب لكنها ما لبثت أن اصبحت واحدة من سلسلة الممالك الإسلامية المنتشرة في أواسط بلاد السودان وذلك بعد أن اصطبغت بالصبغة الإسلامية الواضحة في عهد السلطان سليمان سولون[3].

---

(1) محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الأذهان في سيرة بلاد العرب والسودان**، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد سعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1965م ،ص169.

(2) صلاح محي الدين، **الشيخ عجيب والدولة الإسلامية في سنار**، ط3، مكتبة الهلال، الإسكندرية، مصر، د.ت ص18.

(3) يوسف فضل حسن، **مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450-1821م**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر،1971م، ص 81، 85.

وبلغت سلطنة الفور أوج عظمتها خلال القرنين 17 و18م[1]، وفيما يخص نظام الحكم فيها فتمثل في السلطان صاحب الحكم المطلق، حيث استمسك سلاطينها بعاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها خلفا عن سلف فكان الحكم وراثي في أكبر أبناء السلطان، وكانت سلطنتهم مقسمة إلى أربعة وعشرين قسم، ولكل قسم رئيس يعرف بالملك يتم تعيينه من طرف السلطان، ويعاون الوزير السلطان في حكمه، كما أن هناك مجلسا للسلطان يستشيره في شؤون الدولة[2].

ج- سلطنة تقلي:

نشأت مملكة تقلي الصغيرة في إقليم كردفان خلال القرن 16م، وعرفت بهذه التسمية نسبة إلى جبل تقلي في الجزء الجنوبي لكردفان، وقد كان سكان هذه المملكة الأصليين زنوجا وليسوا عربا وفي عام 1530م هاجر محمد الجعلي إلى تقلي وجعلها دولة إسلامية حيث سعى هذا الأخير إلى نشر الإسلام بين سكان هذه الدويلة فلاقت دعوته قبولا طيبا بين أبسط الناس، خاصة بعد مصاهرته لزعيم قبيلة تقلي، إذ نتج عن هذه المصاهرة مولد أبو جريدة الذي سار على نهج أبيه في نشر تعاليم الإسلام وقد كان له الدور الفعال بعد وفاة والده وتوليه الزعامة في ظهور دولة تقلي الإسلامية التي استمرت إلى حين سقوطها على يد قوات محمد علي باشا أواخر القرن 19م، وتشمل هذه المملكة المنطقة الممتدة من تلودي جنوبا إلى أبي حبل شمالا[3].

د - سلطنة الكشاف في النوبة:

كانت هذه السلطنة ما بين أسوان ووادي حلفا، مثارا للفوضى ومرتعا لتجارة الرقيق حتى فتحها السلطان العثماني سليم الأول، حيث أسسوا سنة 1520م حاميات عسكرية في أسوان وأبريم وجزيرة ساي، حكمت المنطقة وعرفت بالكشاف، كما تعرضت هذه المنطقة قبيل حملة محمد علي لاضطرابات جديدة بهجرة المماليك الفارين من مصر إليها[4].

---

(1) محمد بن عمر التونسي: المصدر السابق، ص155.
(2) نفسه، ص158.
(3) يوسف فضل حسن، المرجع السابق، ص100، 101.
(4) الشاطر البصيلي عبد الجليل، المرجع السابق، ص56.

3 – السودان تاريخيا:

يبدأ التاريخ الموثق عن السودان من حوالي 50 قرناً أي خمسة آلاف سنة، وكان من أهم ملوك النوبة في عهد استقلاله الملك بَيّي"بعانخي" الذي حكم مملكة النوبة سنة 751ق.م. وازدهرت العلاقة بين السودان واليونان في تلك الحقبة حتى حاول اليونان التغلغل في الأراضي السودانية في إطار توسعهم في الحكم، إلا أن السودانيين حافظوا على استقلالهم السياسي[1].

أ ـ حضارة المجموعتين الأولى والثانية:

ولا يُعرف شيء عن السودان على وجه التحقيق ما بين عامي 3800 ق.م،و3100 ق.م ولكن توجد قبور في أماكن مختلفة ببلاد النوبة تمثل ثقافة لا تُعرف من قبل ويرجع تاريخها إلى عام 3100 ق.م، ويطلق عليها **"حضارة المجموعة الأولى"**، ومن بين آثارها التي وُجدت في هذه القبور الأواني الفخارية والأدوات النحاسية، وهناك كانت حضارة أُخري تُعرف **"بحضارة المجموعة الثانية"** تلت ثقافة المجموعة الأولى، وفي الفترة ما بين 2240 ق.م - 2150 ق.م ظهرت في بلاد النوبة حضارة تُعرف بثقافة عصر **"المجموعة الحضارية الثالثة"**.

وأظهرت الحفريات الأثرية آثارا سودانية منذ حوالي عام 3100 ق.م إلي 2000ق.م اتخذ إنسان السودان أول خطوة معروفة نحو الحضارة في أفريقيا بصناعة الفخار واستعماله، وكان هؤلاء السكان، وهم سكان الخرطوم القديمة يعيشون في مجتمع متطور مقسم إلي حرف ومهن كما يظهر من آثارهم[2].

ب ـ التفاعل مع شبه الجزيرة العربية:

كان بين السودان وشبه الجزيرة العربية والشواطئ العربية والإفريقية صلات قديمة عبر البحر الأحمر، حيث ازدهرت تجارة الصمغ والعاج والبخور والذهب بين السودان والحبشة من ناحية وبين موانئ الجزيرة العربية من ناحية أُخرى، ومنذ 2000 سنة ق.م، احتلت

(1) محمد إبراهيم بكر، المرجع السابق. ص 123.
(2) عفاف تاوركاقي، المرجع السابق، ص67.

إمبراطورية الحبشة بلاد اليمن كما حدثت هجرات عربية من شبة الجزيرة العربية إلى أرض النوبة في شمال السودان[1].

ج ـ المجموعة الحضارية الثالثة:

بعد نهاية دولة مروى قامت ثلاثة ممالك نوبية، فكانت في الشمال مملكة النوباطيين التي تمتد من الشلال الأول إلي الشلال الثالث وعاصمتها "فرس"، ويليها جنوباً مملكة المغرة التي تنتهي حدودها الجنوبية عند "الأبواب" التي تقع بالقرب من كبوشية جنوب مروى القديمة، وهذه المملكة عاصمتها "دنقلة العجوز "، ثم مملكة علوة وعاصمتها سوبا وتقع بالقرب من الخرطوم .واتحدت مملكتا النوباطيين والمغرة فيما بين عامي 650- 710م وصارتا مملكة واحدة. وصلت النوبة قوة مجدها في القرن العاشر الميلادي وكان ملك النوبة المدافع الأول عن بطريرك الكنيسة المرقسية بالإسكندرية .ولما انهزم" كودنيس "آخر ملك علي مملكة دنقلة عام 1323 م، انتهت الدولة المسيحية[2].

د ـ دخول الإسلام السودان:

وفي القرن العاشر الميلادي كان السودان منقسماً إلى:

ـ مملكة الداجو في دارفور وكانت عاصمتها جبل مرة ثم أم كردوس.

ـ مملكة المقرة في الشمال وكانت دنقلا عاصمة لها.

ـ مملكة علوة على النيل الأزرق وعاصمتها سوبا.

ـ مملكة البجة في شرق السودان ومقر ملكها في هجر.

أشار الدكتور أركل إلى أنه في منتصف القرن الرابع الميلادي انقسمت مملكة الداجو إلى عدة ممالك غرب النيل، ويعتقد أن الداجو جاءوا من مروي بعد سقوطها على يد عيزانا ملك مملكة أكسوم الحبشية فاستطاع ملوك مروي الهروب جنوب غرب نهر النيل وأنشأوا مملكة في دارفور، وكانت عاصمة المملكة الأولى في جبل قدير حيث توفي ملك الداجو قدير ودفن تحت الجبل وأطلق اسمه عليه في كردفان ثم نقلها السلطان أحمد الداج إلى جبل مرة ثم تحولت في عهد السلطان عبد الله بحر إلى أم كردوس، ولما جاء عهد السلطان الطاغية

(1) عفاف تاور كافي، المرجع السابق، ص 77.
(2) محمد إبراهيم بكر، المرجع السابق. ص 123.

عمر كسيفورو حول العاصمة إلى جبل كلوا، وهناك حدثت القصة المشهورة التي أدت إلى ركوبه التيتل ففر به إلى أن سقط رأسه في دار سلا حيث أنشأ الداجو سلطنة هناك (الآن تتبع لجمهورية تشاد). وبقي بطن من الداجو تحت إدارة سلطان يدعى أحمد تنجر وهو شقيق السلطان عمر كسيفورو حاكما على دارفور وغير العاصمة إلى مدينة أوري في الشمال[1].

تم إرسال حملة في عهد الظاهر بيبرس للقضاء على مملكة المقرة المسيحية سنة 1276م، وهُزم الملك داود، وكانت تلك الحملة من الحملات القوية حتى انهم استطاعوا أن يحولوا الكنائس إلى مساجد، فاستمر التدفق الإسلامي جنوباً حتى جاوروا مملكة علوة التي كانت تدين بالمسيحية أيضاً، فتحالف العرب بقيادة عبد الله جماع مع الفونج وهاجموا علوة وكان أول هجوم أهم من بوابة علوة من اربجي حيث تعد ار بجي الميناء الرئيسى لعلوة على النيل الأزرق كما هي حامية رئيسة لعلوة علي النيل الازرق وبعد معركة أربجي 1504 وانتصار الفونج دخلوا سوبا وخربوها خراباً مشهوراً حتى أُطلق المثل "خراب سوبا". بانتصار الفونج وحلفائهم العرب في 1504 م بدأت أول سلطنة عربية إسلامية في السودان وكان سلطانها هو قائد الفونج في معاركهم" عمارة دونقس"وكان قائد العرب" عبد الله جماع"وزيراً له، وتم الاتفاق أن يكون السلاطين من الفونج والوزراء من العرب، دخل الدين الإسلامي إلى السودان في الشمال والشرق والغرب والوسط والقليل من المناطق الجنوبية، وانتشرت مع الإسلام اللغة العربية التي بدأت تسود البلاد وتختلط بالسودانيين حتى تكونت اللهجة السودانية الحديثة.

بعد فترة طويلة من المجد والعظمة ضعفت السلطنة الزرقاء (سلطنة الفونج) بسبب المعارك مع مملكة الفور على مناطق كردفان سنة 1748م التي أجهدت المملكتين عسكرياً واقتصادياً[2].

هكذا كانت مملكة نبتة هي أول دولة أنشئت في السودان القديم، وذلك ما بين سنة 725 ق.م إلى 350 ق.م بالقرب من جبل البركل و مملكة الكوش الناشطة في القرن الثامن

(1) الشاطر البصيلي عبد الجليل، المرجع السابق، ص76.
(2) يوسف فضل حسن، المرجع السابق، ص 88.

قبل الميلاد (08 ق.م)، ومرورا بمملكتي نبتة في الشمال، ومروى في الوسط (حوالي 590 ق.م)، تعبير بشكل واضح عن مميزات هذا الموقع، وامتداده بالتفاعل مع المحيط شبه العالمي من حوله [1].

ويمكن حساب ظهور السودان كأمة منذ القرن الثالث ميلادي، عندما أخذت الخصائص الإفريقية الأساسية في الحضارة المروية تؤكد وجودها، ففي منتصف القرن الرابع الميلادي كان يمثل مروى قوم قادمون من الجنوب، فمنذ ذلك الوقت أضحى تاريخ السودان مجهولا وغامضا، حتى ظهور الممالك النوبية الثلاث، مملكة نوباتيا، ومملكة مقرة، ومملكة علوة واعتنقت هذه الممالك الثلاث المسيحية في أو بعد القرن السادس الميلادي، والمسيحية مثلها في ذلك الوقت الحضارة المصرية القديمة، وجاءت من الشمال عن طريق مصر، وبذلك ظلت الممالك الثلاث على ولائها للكنيسة القبطية في مصر [2].

أرادت الثقافة المسيحية القبطية أن تستحوذ على مميزات الموقع السوداني عبر سعيها لاحتواء هذه الممالك النوبية وتنصيرها، وقد كان يمكن لو تأخر العرب قليلا أن نشهد دورة حضارية مسيحية في إفريقيا كلها، مما يماثل الدورة الكوشية السابقة عليها، غير أن العرب لم يمهلوا هذا الجهد إلا وقتا لا يتجاوز القرن الواحد تقريبا، وانسابوا إلى شرق السودان وشماله ووسطه، وظلوا يتفاعلون مع الوضعيات الثقافية السودانية إلى أن كان عام 1505م حيث تحالفت قبائل العبدلاب الذين ينحدرون من أصل عربي صريح من قريش[3]، مع قادة الفونج [4]، وهي مملكة شملت ما بين النيلين الأبيض والأزرق وعاصمتهما سنار فأسقطت آخر معاقل المسيحية النوبية في السودان، وهي مملكة علوة وعاصمتها سوبا [5].

(1) محمد أبو القاسم حاج محمد، المرجع السابق، ص 18.
(2) صباح محمود محمد ، جغرافية الدول الإسلامية ، دار الأمل ، الأردن ، د ب ت ، ص 145.
(3) يوسف فضل حسن ، المرجع السابق، ص 39 .
(4) يرجع الباحثون أن موطن الفونج أو أصلهم إلى واحدة من ثلاث مناطق : بلاد الحبشة وبلاد البرنو ، ومنطقة الشلك على النيل الأبيض ، وهناك من ينسبهم إلى بني أمية ، أنظر، يوسف فضل حسن ، المرجع السابق، ص 46 .
(5) محمد أبو القاسم، المرجع السابق، ص 18.

هذا وقد ظهرت الممالك والسلطنات الإسلامية التي امتدت عبر السودان، وهي ممالك العبدلاب[1] والفونج، وسلطنات تقلي والمسبعات، والفور في منتصف القرن 15م ومنتصف القرن 17م عندها وضحت غلبة الإسلام، وشيوع الثقافة العربية، وانتشار القبائل العربية في أجزاء كبيرة من السودان[2].

استطاعت مملكة الفونج أن تحافظ على قوتها إلى غاية 1821م أين سقطت على يد العثمانيين والمصريين، الذين وجهوا ضدهم حملة واستمروا إلى سنة 1881م، أين قامت الثورة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي[3].

(1) مركزهم الحلفاية تجاه الخرطوم ، وهم فرع من القوا سمة وقد سموا بالعبدلاب نسبة إلى كبيرهم عبد الله جماع الذي أسس مملكة سنار مع الفونج . أنظر، محمد مهري كركوكي، رحلة مصر والسودان ، مطبعة الهلال، مصر، 1914م ص 390 .

(2) محمد أحمد عبد الغفار، مؤتمر المائدة المستديرة لحل مشكلة جنوب السودان 1965م – 1966م والأقليات في القانون الدولي العام، دار هومه، الجزائر، 2001م ، ص 144 .

(3) نفسه، ص 145.

4- جذور العلاقات المصرية السودانية:

تتصل الجذور التاريخية للعلاقات المصرية السودانية بمسيرة الحياة في هذين القطرين مرورا بالممالك الفرعونية فعهود الفوضى والتدخل الأجنبي من الاحتلال الفارسي إلى اليوناني فسيادة مملكة نبتة إلى سيادة روما البيزنطية، ثم تبع ذلك ظهور الاسلام ودخول العرب المسلمين إلى مصر وكذا تأثيرهم على السودان إلى غاية دخول العثمانيين إلى بلاد الشرق ومنها مصر والسودان[1] ، حيث كان للسودان أهمية خاصة عند قدماء المصريين في العهد الفرعوني، إذ يذكر ضرار صالح ضرار أن الملك سنفرو أحد ملوك منفيس شن هجوما على السودانيين في عام 2750 ق.م توج فيه بالانتصار، فقد بلغ عدد أسراه حوالي 7000 شخص بين رجال ونساء، واستولى على 200 ألف من البقر والضأن، فأصبح منذ ذلك الوقت تاريخ السودان السياسي مرتبطا أشد الارتباط بالتاريخ المصري فكثيرا ما كان المصريون يحتلون أجزاء من السودان، ويعينون عليها حكاما منهم من أشهرهم الحاكم يونا الذي حكم حوالي 2423ق.م وامتاز هذا الأخير بتوسعاته في البلاد السودانية كما عرف بعدله و حسن إدارته فقد جعل التجارة ميسورة التداول بين القطرين فكثر تصدير العاج والريش والعطور والأخشاب من السودان إلى مصر[2].

فقد نشطت الرحلات المصرية في السودان في الحقبة الفرعونية، حيث قام الرحالة حارخوف بأربعة رحلات طويلة المدى في السودان فتح من خلالها سبلا جديدة للتجارة بين القطرين، حيث وصل فيها إلى أعالي النيل جنوب السودان كما وصل أيضا إلى أقاصي غرب السودان، وما لبث أن أضحى السودان بعد ذلك ذا أهمية خاصة لمصر، حيث أصبح مصدرا هاما لاستيراد الذهب والرقيق.

ومما زاد في قوة العلاقات المصرية السودانية هي تلك المصاهرة التي كانت تتم بين سكان القطرين، فقد أظهرت المخطوطات التاريخية أن عائلة الأمير أمنحات كانت مزيجا من المصاهرة المصرية السودانية، كما أن الوزير أمنحوتب الثالث جرت في عروقه الدماء النوبية السودانية[3].

(1) نوال عبد العزيز مهدي راضي، مصر والسودان في مفترق الطرق، دار النهضة العربية، مصر، 1989م، ص 5.
(2) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ص12.
(3) نفسه.

كما توثقت النواحي الاجتماعية بين البلدين أثناء الحقبة الممتدة ما بين 3000ق.م و9000ق.م، إذ كان معترفا بالآلهة السودانية في بلاد مصر كاعتراف السودانيين بالآلهة المصرية، أما عن النواحي الإدارية فقد ساد النظام الإداري المصري من خلال تقسيم السودان إلى مناطق لها حكامها وحامياتها، وفيما يخص الموظفين فكان معظمهم من المصريين وقليل منهم من السودانيين.

وبدأت مصر تسير نحو الاضمحلال في القرن 10ق.م، فانتهز السودانيون هذه الفرصة واستقلوا عنها وأصبحوا ملوك النوبة وتولوا رعاية الإله آمون، وما لبثوا أن اعتبروا أنفسهم مسؤولين عن البلاد الواقعة بين البحر المتوسط وأواسط السودان، وكان من أهم الملوك السودانيين في عهد استقلاله عن مصر الملك "بيانجي"، الذي حكم السودان حوالي سنة 571ق.م، حيث كان كثير التأثر بالحضارة المصرية، محبا لها ومقدرا لمكانتها، متخذا الكثير من الألقاب المصرية لنفسه، بالإضافة إلى تدينه بديانة الإله آمون حيث بذل مجهودات كبيرة لضم مصر إلى السودان، ويظهر ذلك من خلال تجهيزه لحملة عسكرية كبيرة حوالي 730ق.م على اثر الأنباء التي وردت إليه بأن البلاد المصرية الواقعة على الدلتا تعيش حالة من الفوضى، وكان له ذلك حيث سيطر على كل الأراضي الواقعة بين نبتة والبحر الأبيض المتوسط وضمها إلى مملكته[1].

وقد استمر الحكم السوداني لمصر ثمانينا عاما، كانت أمنا وسلاما ورخاء على كل من البلدين، واتبعوا الطريقة المصرية في دفن ملوكهم تحت ظل أهرامات صغيرة مجاورة لملوك مصر القدامى، وما أن تقلص الحكم وأصبح لا يتعدى الشلال الأول وقبع السودان بعيدا عن مجرى الأحداث العالمية، وهذا كله راجع لتضاءل النفوذ المصري من حيث الحضارة والصناعة واللغة كنتيجة حتمية لخضوعه تحت الحكم الأجنبي، حيث تعاقب على حكمه الأشوريين واليونانيين والرومان، ومنذ ذلك الوقت أضحى تاريخ السودان مجهولا وغامضا حتى ظهور الممالك النوبية الثلاثة: مملكة نوباتية، مقرة، ومملكة علوة.

(1) شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل وحضارته وعلاقته من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ط1، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 2008م، ص133.

اعتنقت هذه الممالك النوبية الديانة المسيحية التي جاءتها من الشمال عن طريق مصر في أوائل القرن السادس الميلادي، وكان يسود حياة الممالك الثلاث طابع القرون الوسطى، كما حافظت على استقلالها وتقاليدها وبسطت نفوذها على الأراضي المجاورة لنهر النيل الذي كان حلقة وصل بين الشمال والجنوب، وقد ظلت الممالك النوبية على ولائها للكنيسة القبطية في مصر، وكان ملوكها يعتبرون أنفسهم حواريين وقساوسة وحماة بطريك الإسكندرية فقبضوا بأيديهم على كل السلطة الدنيوية والروحية[1]، وساعدهم في مزاولة مهامهم نظام ديني قائم على تعاليم وطقوس الكنيسة البيزنطية، وكانت اللغة الإغريقية هي أداة نشر تعاليم المسيحية إلى أن استبدلت لغة الكنيسة في تاريخ متأخر باللغة النوبية[2].

دخل العرب أرض مصر فاتحين في السنة الثامنة للهجرة تحت قيادة عمرو بن العاص[3] فوجدوا دولتين مسيحيتين في السودان إحداهما المقرة وعاصمتها دنقلة، والثانية علوة وعاصمتها سوبا جنوب الخرطوم، وكان ولا بد من احتكاك بين المسلمين في أسوان جنوب مصر ومملكة مقرة الشمالية وكذا قبائل البجة في الصحراء الشرقية.

لم يشأ المسلمون فتح بلاد النوبة من البداية لفقرها ولأنها لم تكن دارا للحرب، فرأوا أن يجعلوا منها دارا للمعاهدة، فبعد أن وصلت قوات المسلمين في عهد عبد الله بن أبي سرح إلى دنقلة عاصمة مقرة حاصروها وتمكنوا من التغلب عليها، وعقدوا صلحا مع ملكها عرف بمعاهدة البقط، حيث أصبح للمسلمين بموجب هذه المعاهدة وضع خاص[4] وذلك بالسماح لهم باجتياز البلاد بغرض التجارة وإقامة الصلاة، وظلت المعاهدة سارية المفعول طيلة 06 قرون، تخللتها حقب احترمت فيها العهود وأخرى كان فيها نقض لها، مما يعني وجود حملات بين الطرفين، كما تم عقد معاهدات مع البجة في الصحراء الشرقية[5] .

---

(1) السماوي باز كرم، **ممالك النوبة في العصر المملوكي - اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل 1250م-1517م** - المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 2006م، ص23.

(2) محمد أحمد عبد الغفار، المرجع السابق ص137.

(3) محمود شلبي، **حياة عمرو بن العاص فاتح فلسطين ومصر وشمال إفريقيا والسودان**، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان 1997م، ص97.

(4) حسن مكي محمد أحمد، "السودان الجديد والعروبة والإفريقية"، **المجلة السودانية للدراسات الدبلوماسية** ، العدد الثاني، وزارة الخارجية، الخرطوم، 2002م، ص23.

(5) مكي شبيكة، **تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن19م**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان د.ت، ص315.

لقد مثلت هذه المعاهدات أساسا للعلاقات الواجب اتباعها بين المسلمين وشعوب هذه الممالك، حيث استخدمت كأداة سلمية تسرب الإسلام من خلالها إلى السودان، إذ تزاوج العرب المستوطنون مع العائلات النوبية المالكة، وورثوا العرش النوبي، لكن سرعان ما ازدادت وتيرة تسرب الإسلام واشتد تأثيره في أواخر القرن 13م، واستمر الحال على ذلك المنوال طيلة مائتي سنة الموالية، حيث سلكت بعض الفرق الجنوب، ومن ثم لم يعد لمملكة النوبة المسيحية أي دور فعلي يذكر بنهاية القرن الرابع عشر، فقد فتح سقوط مملكة النوبة في أيدي العرب المسلمين سبيلا للتغلغل في مقرة وعلوة، فاستطاعت هذه الأخيرة في بادئ الأمر الدفاع عن كيانها وأجبرت الجماعات العربية القليلة المهاجرة على احترام سلطتها بيد أنه لم يكن من الممكن استمرار ذلك الوضع نظرا لتزايد أعداد العرب وتكوينهم للأحلاف، ومن ثم استغل المسلمون ضعف مملكة علوة واتجهوا نحو العاصمة الضعيفة سوبا والتي سرعان ما خضعت لحكمهم، وبخضوعها هذا تكون قد سقطت آخر الممالك السودانية المسيحية الثلاثة المستقلة في أيدي المهاجرين الجدد من العرب المسلمين[1].

ومما سبق نكون قد أعطينا صورة عامة للوضع السياسي السائد في السودان قبيل دخول جيوش محمد علي باشا إلى الأراضي السودانية.

(1) محمد عمر البشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900م- 1960م)، الدار السودانية للكتب، الخرطوم السودان، 1980م، ص10.

الفصل الثاني

حملة محمد علي باشا على السودان

1- أسباب حملة محمد علي باشا على السودان:

أ - الحاجة إلى الجنود

ب- الثروة الذهبية

ج - استئصال المماليك

د - حماية و استغلال مياه النيل

هـ - التحكم في منافذ البحر الأحمر

و- تنشيط التجارة

ي- تأسيس إمبراطورية

2- سير حملة محمد علي إلى السودان:

أ - جيش اسماعيل باشا والحملة على سنار

ب - جيش الدفتردار وحملته

3- الإدارة العثمانية المصرية في السودان:

أ- النظام الاداري

ب - النظام الاقتصادي

ج - النظام القضائي

د - النظام العسكري

4 - حكام السودان في عهد محمد علي:

1-أسباب حملة محمد علي باشا على السودان:

لما استولى محمد علي باشا [1] على مصر، شرع في وضع نظام سياسي يهدف من ورائه إلى نقل مصر من مجرد إيالة عثمانية بسيطة إلى باشاوية وراثية، سواء كانت منفصلة عن جثمان الدولة العثمانية أم داخلة فيه، فاقتضت كثير من العوامل فتح السودان وإدخاله في إطار ذلك النظام السياسي فكان من أكثر العوامل أهمية لحملة محمد علي جنوبا نحو السودان، وكذا مواصلة مشروع سياسته التوسعية، مطالبة عدد من زعماء السودان أنفسهم بإنشاء حكومة قوية بالسودان على يد مصر، تقضي على أسباب الفوضى المنتشرة[2]، فضلا عن هذا كانت هناك عوامل عدة دفعت بالوالي محمد علي للقيام بحملته التوسعية على بلاد السودان، نذكر منها ما يلي:

أ- الحاجة إلى الجنود:

لقد مثلت مصر مصدر اهتمام الدول الأوروبية على وجه العموم، وانجلترا وفرنسا على وجه الخصوص، ولما أدرك محمد علي باشا هذه الحقيقة سعى جاهدا لصد محاولات هذين البلدين، فكانت خطته تكمن في تكوين جيش قوي وجيد التدريب مع استعمال الأسلحة الحديثة، ولأنه كان يدرك أن جنوده الألبان هم آخر من سيقبل بهذا النظام الجديد وذلك بسبب قلة اهتمامهم وعصيانهم للأوامر اتجهت أنظاره نحو السودان الذي كان مصدرا جيدا لاستجلاب الجنود من بين رجاله منذ قدم العصور، حيث كان الفراعنة يستعينون دائما بالجند السوداني عند الشدائد[3]، كما أن رجال السودان اشتهروا بطول القامة والشجاعة والإخلاص

---

(1) محمد علي باشا: هو مؤسس العائلة الخديوية في مصر ولد سنة1182هـ /الموافق لـ1769م في مدينة قولة، توفي والده وهو صغير فتولى رعايته عمه حتى بلغ أشده فزوجه ابنته، اشتغل بتجارة الدخان أين اكسبته مالا كثيرا، عرف بدهائه ومكره، ولما دخل الفرنسيون مصر كان على رأس فرقة عسكرية لإخراجها فشهد واقعة أبي قير، ثم أخذ يتدرج في المسؤوليات إلى ان أصبح واليا على مصر في 10ربيع الثاني 1220هـ/ الموافق لـ 8جويلية 1805م، توفي بالقاهرة في 13 رمضان 1365هـ/ الموافق لـ2أوت 1849م، ودفن بالجامع الذي بناه بالقلعة، انظر، محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص390، 391 والسيد فرج، **حروب محمد علي**، مطبعة التوكل، القاهرة، مصر، 1999م، ص17.

(2) عبد الفتاح عبد الصمد منصور، **العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899م – 1964 م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص11.

(3) أمل عجيل، المرجع السابق، ص69.

والطاعة فضلا عن شدة بأسهم في الحروب وصلاحيتهم للجندية[1]، وهذا ما كان يبحث عنه علي باشا في تعزيز قوات جيشه من خلال النظام الجديد الذي يهدف إلى خلق جيش قوي على غرار الدول الأوروبية والتخلص من أعباء الجنود الأتراك والمغاربة الذين أصبحوا مصدر تعب له هذا من جهة، وينال بهم مطمعه من التوسع من جهة أخرى[2].

ب - الثروة الذهبية:

اشتهر السودان منذ أقدم العصور بغنى أراضيه بمعدن الذهب خاصة مناجم سنار التي عرفت بشهرتها في هذا المجال، وقد كان الوالي محمد علي في حاجة ماسة إلى ذلك الذهب وذلك بغية إنفاقه على الجيش الكبير الذي كان ينوي خلقه كما أن الذهب السوداني لا يقتصر على غنى الخزينة المصرية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى تمكين الباشا من تطوير البلاد المصرية زراعيا وعسكريا وصناعيا ولكل هذا وذاك قرر محمد علي الاستيلاء على ذلك الكنز عن طريق تلك الحملة[3].

ج - استئصال المماليك:

هؤلاء المماليك هم الذين نجوا من المكيدة التي دبرها لهم الوالي محمد علي حيث فر هؤلاء نحو الجنوب و أنشأوا لأنفسهم مملكة ترامت أخبارها لمحمد علي، كما اتخذوا لهم موطنا في شمال السودان وعسكروا بالقرب من مملكة الشايقية[4]، فمثلت هذه النقطة طعنة للوالي محمد علي من الخلف، لذلك قرر إخضاع تلك القلة الهاربة من الملوك والقضاء عليهم قضاءا تاما قبل أن يستفحل

---

(1) عمر طوسون، الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا، ط3، مطبعة المستقبل، الإسكندرية، مصر، 1935م، ص06.

(2) أمل عجيل، المرجع السابق، ص69.

(3) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص23.

(4) مملكة الشايقية: قامت على أنقاض مملكة نبتة القديمة، امتدت من الشلال الرابع إلى أبي دوم قشابي ومركزها مروى وهي مملكة عربية محضة اشتهر افرادها بالشجاعة وحب الغزو. انظر، نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1967م، ص 427.

و- تنشيط التجارة:

كان محمد علي ينوي أيضا توسيع نطاق التجارة المصري واستغلال تجارة السودان واحتكار حاصلاته وتسويقها عن طريق مصر في الأسواق العالمية، كما ارتأى أن السودان سيكون سوقا جيدة لصادرات مصر، بالإضافة إلى تأمين طرق التجارة من وإلى السودان من قطاع إلى الطرق[1].

ي- تأسيس إمبراطورية:

سعى محمد علي باشا منذ أن وطئت أقدامه مصر إلى تأسيس إمبراطورية واسعة الأرجاء تمتد من الجزيرة العربية إلى المحيط الهندي، وتشمل السودان وشواطئ البحر الأحمر وحوض النيل والبحر الأبيض المتوسط، وذلك من خلال الحروب العديدة التي خاضها وحملته على السودان، إضافة إلى استناده إلى نظرية الملك المباح ومضمونها أن الاقطار السودانية عند ضمها كانت مسلوبة من أصحابها الأصليين، فصار واجبا عليه إنشاء حكومة تصون السودان من خطر الغزو الأجنبي[2].

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص24.
(2) محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ميلادي 1820م-1899م، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963م، ص12.

2- سير حملة محمد علي إلى السودان:

اكتسب محمد علي حنكة عسكرية كبيرة من خلال الحروب الطويلة التي خاضها في بلاد الشام والحجاز، ولقد استفاد من تلك الخبرة في حملته على السودان، حيث أرسل بعثة مصرية سنة 1813م إلى ملك سنار لتقديم بعض الهدايا بغية استطلاع الأمور هناك، فرأى رجال هذه البعثة أن السلطنة الزرقاء ليست سوى لقمة سائغة للباشا محمد علي[1]، فيكون بهذا قد أمن على الجبهة الشرقية، أما عن الجبهة الغربية فقد استطاع محمد علي الاستيلاء على واحة سيوة، وبعد الحملة الاستطلاعية التي قام بها صهره محمد بك الدفتر دار عام 1818م، سافر الباشا علي شخصيا إلى حدود مصر مع السودان عام 1819م مصطحبا معه قائد الجنود الألبانيين حسن باشا، وقضى هناك مدة شهرين، تدارس خلالها خطة الزحف نحو السودان[2]، وما إن حل عام 1820م حتى كان محمد علي مستعدا أتم استعداد حيث جهز جيشين أحسن تجهيز وقرر أن يسير الجيش الأول لغزو الأراضي الواقعة على أرض النيل والتي تضم سنار حتى حدود الحبشة وذلك بقيادة اسماعيل باشا[3]، أما الجيش الثاني فيتجه نحو سلطنة الفور ليستولي على أراضي كوردفان ودارفور بقيادة الدفتر دار بك[4].

أ- جيش اسماعيل باشا والحملة على سنار:

-الزحف نحو سنار: جويلية 1820م:

ذكر نعوم شقير تفصيل الجيش الأول الذي أعده محمد علي لغزو سنار فقال: "...1200 فارس من الأتراك والأرناؤوط والمغاربة بقيادة عبدين بك والحاج عمر وعمر كاشف مع كلا منهم 400 فارس و800 راجل من البدو والمغاربة و600 راجل من الأتراك و300 راجل من الطوبجية، ومعهم 24 مدفعا بقيادة

---

(1)Mahmoud El mahdi, A Short History Of Sudan, Oxford Univesity Press, London ,1965,P62.

(2) شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل، المرجع السابق، ص321.

(3) مكي شبيكة، مقاومة السودان للغزو والتسلط ، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر 1972م، ص19.

(4) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص25.

محمد آغا و700راجل من العبابدة بقيادة خليل وكاشف بك انظموا إليه في أسوان وصحب الجيش حوالي 2000 نفر من الأتباع منهم 20 مملوكا حرس إسماعيل باشا الخصوصي مع 3000 جمل و3000 مركب لحمل الزاد والمؤونة والذخائر، وصحب الجيش أيضا 3 من نخبة العلماء وهم القاضي محمد الأسيوطي الحنفي والسيد أحمد البقلي الشافعي والشيخ السلاوي المغربي المالكي، ووهب كل منهم خلعة سنية ...، وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون وأن الخضوع لجلالة السلطان العثماني أمير المؤمنين وخليفة المسلمين واجب ديني...."[1].

وقد جعل على رأس هذا الجيش ابنه اسماعيل باشا ومعه وفد من ذوي الثقة والمقدرة الإدارية أمثال أحمد آغا والمعلم حنا الطويل للشؤون المالية[2].

- مواصلة الحملة بقيادة اسماعيل باشا:

اندفعت في شهر جويلية 1820م مراكب الجيش المصري المحملة بعدد من الرجال والعتاد والجمال، لتشق مياه النيل المرتفعة بفعل الفيضانات انطلاقا من أسوان حتى بلاد السودان ما عدا بلاد النوبة الواقعة في الجزء الجنوبي من أسوان والتي كانت تتمتع بالاستقلال تحت حكم كاشف حسين، الذي حاول مواجهة الجيش إلا أن خوفه وخشيته من اسماعيل باشا حالت دون ذلك فولج بالهروب فأفسح المجال بذلك أمام شقيقه كاشف حسن ليستسلم بدوره أمام اسماعيل باشا فعينه هذا الأخير حاكما على بلاده،بعدها تقدم اسماعيل متجها نحو الجنوب.

أما فيما يخص الشمال فقد وجد اسماعيل حكام شمال السودان ضعافا أمامه، ذلك لأنهم كانوا متفرقين إلى ممالك صغيرة فاختاروا الاستسلام على أن يدخلوا حربا لن يخرجوا منها منتصرين[3].

---

(1) نعوم شقير، المصدر السابق، ص494.
(2) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص26.
(3) نفسه، ص27.

وهكذا يمكن القول أنه بدخول اسماعيل باشا وجيشه إلى بلاد النوبة لم تواجهه أية عراقيل إلى حين بلوغه ديار الشايقية أين جرت أولى معاركه الحربية[1].

معركة كورتي: نوفمبر 1820م:

كان الملوك والمشايخ الدناقلة يمتثلون بالطاعة والولاء لإسماعيل باشا خلال سيره في بلادهم حتى بلغ ديار الشايقية، حيث كان هؤلاء لا يقبلون الانطواء تحت راية اسماعيل باشا رافضين الخضوع له وذلك بسبب اعتزازهم بجهادهم الحربي فكان الشايقية مجهزين بالسلاح الابيض والخيول تحسبا لأي عدوان عليهم[2].

وبوصول اسماعيل باشا لبلاد الشايقية لم يكن له سبيل سوى التفاوض معهم وذلك بسبب تأخر بقية جيشه في الشلالات، فلم يكن معه حينذاك سوى فرقتان من الفرسان وهذه القوة غير جديرة بالمغامرة وغير كفيلة للنصر، فأرسل لهم رسولا يدعوهم إلى طاعته وتأدية الجزية، لكن ردهم كان فيه نوع من الاستفزاز والتحدي حيث أجابوا قائلين:"...أما الجزية فنؤديها بلا حرب وأما خيولنا وسلاحنا فلا نسلمها إلا بالحرب لعلنا نفوز وتبقى لنا..."[3]، وبما أن اسماعيل باشا لم يقنعه رد الشايقية قرر إرسال بعثة بها 100 فارس للكشف والتطلع، لكن الشايقية غدروا بهم فقتلوا منهم 75 رجلا وعاد البقية لإسماعيل باشا جرحى وبمجرد أن رآهم أعلن الحرب عليهم دون صبر، فسار بفرسانه في 4 نوفمبر 1820م نحو الشايقية الذين كانوا قد تجمعوا في مكان يسمى "كورتي" بجيش قوامه 1000 فارس و25000 راجل مسلحين بالحراب والسيوف، ودخل الطرفان في معركة أسفرت عن خسارة جيش الشايقية نظرا لتفوق السلاح الناري على السلاح الأبيض، كما استمر اسماعيل في ضرب قلاعهم وديارهم إلى أن حطم قواهم الحربية والمعنوية كاملة، فانقسموا إلى طائفتين: الأولى قادها الملك صبير؛ فضلت التسليم وبالتالي أصبحت إحدى دعائم جيش اسماعيل وكذا التعاون مع الجيش العثماني المصري

(1)ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص27.
(2) نعوم شقير، المصدر السابق، ص495.
(3) نفسه.

حتى قيام الثورة المهدية، والثانية قادها الملك جاويش؛ فضلت الفرار إلى أرض الجعليين ومواجهة اسماعيل باشا[1].

ويتضح لنا من خلال المراسلات السارية بين محمد علي وابنه اسماعيل أن الوالد كان ملما بكل مجريات سير الحملة، حيث لم يكن هذا الأخير راضيا عن أسلوب ابنه في تسيير حملته خاصة وأن اسماعيل رفض شروط الشايقية في الجنوح إلى السلم واختياره دخول الحرب مع هؤلاء، ذلك لأن محمد علي فضل السلم على الحرب[2].

دخول بربر: 21 فيفري 1827م:

بعد أن اكتمل جيش اسماعيل باشا سار قدما مستأنفا زحفه، حيث أقام معسكرا في صحراء بيوضة بالقرب من بربر بغرض مقابلة وفود القبائل السودانية لتدين له بالولاء والطاعة؛ فسلم له: ملك الميرفاب نصر الدين، ملك الربطاب أبو حجل الشيخ عربان المسانية، ملك نمر، ملك شندي، وأخيرا الملك جاويش[3].

- دخول سنار:15 جوان 1821م:

كان سلطان الفونج آنذاك الملك "بادي السادس"، لكن السلطة الفعلية كانت بيد الوزير: "محمد ود عدلان" الذي لم يوجه أمرا بتجنيد رجاله استعدادا لمواجهة الجيش[4]، وبعد اغتيال هذا الأخير على يد ابن عمه "حسن ود رجب"، وصل إلى الحكم "الأرباب دفع الله"، الذي قرر التفاوض مع اسماعيل ثم توجه الى واد مدين مترئسا وفدا من سنار أين التقوا بإسماعيل فأطلعوه على رغبة بادي في الاستسلام وحدث ذلك بالفعل، حيث وقع سلطان الفونج على تنازله عن سلطانه لخليفة المسلمين في القسطنطينية وأصبحت بذلك سلطنة الفونج في ظل السلطان العثماني وكان ذلك في 13 جوان 1821م، ويكون اسماعيل باشا بهذا قد حقق نصرا

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص 27، 28 .
(2) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن 19م، المصدر السابق، ص327.
(3) أمل عجيل، المرجع السابق، ص72.
(4) Mahmoud El-Mahdi , Op .Cit, p63.

كبيرا في ضمه القسم الأكبر من حوض النيل والنيل الأزرق، ويعود سر نجاحه الساحق إلى مجموعة من العوامل لعل من أهمها:

- انعدام وجود وحدة سودانية قوية للوقوف في وجه الحملة.
- انعدام الزعامة التي تقود المقاومة نظرا لضعف الملوك السودانيين.
- انقسام السودان إلى دويلات متناحرة فيما بينها كمملكة الشايقية والدناقلة.
- تفاوت القوى العسكرية: وذلك من حيث الأسلحة المستخدمة وبالتالي تفوق السلاح الناري على السلاح الأبيض.

ب - جيش الدفتردار وحملته[1]:

- الزحف نحو كوردفان بقيادة الدفتر دار:

سلك الدفتردار وجنوده الطريق الصحراوي إلى كوردفان ثم دارفور فاتصل بالعبادلة والكبابيش الدين وفروا له كل ما يحتاج إليه في حملته، ثم أرسل كتابا إلى سلطان دارفور محمد الفضل يدعوه من خلاله إلى الخضوع والتسليم فرد هذا الأخير طلبه هذا بالرفض، ونتيجة لهذا تقدم الدفتردار دون أن يعترض طريقه احد واما سمع المقدوم مسلم والي منطقة كردفان بقدومه خرج في عساكره من الأبيض شمالا إلى بارة ليواجه جيشه.

- واقعة بارة: 16 أفريل 1821م:

التقى جيش الدفتردار بك بجيش والي كردفان المقدوم مسلم في منطقة بارة في 16 أفريل 1821م، وجرت بين الطرفان معركة دامية أسفرت عن انهزام جيش المقدوم ودخول الدفتردار للأبيض واستيلائه على كردفان وكذا استعداده للزحف نحو دارفور، لكن ونظرا لاتساع رقعة كردفان فضل الدفتردار الاكتفاء بهذه الأخيرة وعدم الدخول في مغامرة لا يعرف عواقبها، وبقيت سلطنة الدارفور في ظل حكم ملوكها المحليين.

(1) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م، ص112.

وهكذا وبعد نجاح الحملة في الاستيلاء على كل من سنار وكردفان، قرر محمد علي استئناف ما بدأه لكن هذه المرة عن طريق ابنه الأكبر "ابراهيم باشا" فجعل له مسؤولية ارساء القواعد الإدارية الصحيحة لحكم البلاد، وقد قرر الأخوان القيام بحملتين كبيرتين الأولى إلى جبال الدينكا بقيادة ابراهيم والثانية إلى جبال الصعيد بقيادة اسماعيل، ولكن مرض ابراهيم حال دون استكمال مسؤولياته فآلت لأخيه اسماعيل الذي سعى جاهدا في تحقيق أغراض والده، فسار ببعض جنده إلى شرق سنار بغرض اخضاع الأراضي الواقعة على حدود فازوغلي، وهنا ظهرت شائعات تقول بمقتل اسماعيل باشا فبدأ ، ناك بوادر حركات التمرد في الظهور إلى السطح رافضة لهذا الوجود.

3-الإدارة العثمانية المصرية في السودان:

لقد كان من أهم ما تحقق في الفترة الممتدة من 1820م-1823م، هو اخضاع سكان بلاد السودان المفتوحة والقضاء على كل ما له صلة بتلك النظم السائدة خلال زمن المماليك السودانية القديمة، فكان ضروريا على قادة الحملة- اسماعيل باشا والدفتردار بك – تحقيق كل اهداف الباشا محمد علي من وراء حملته التوسعية، وفي ظل انعدام استتباب الامن وغياب خطة مسبقة لإدارة بلاد السودان المفتوحة دخلت البلاد تحت حكم عسكري شديد القسوة من طرف القائدين إلى حين مقتل الباشا اسماعيل، فأصبح بذلك الدفتردار بك هو القائد الأعلى للقوات العسكرية والحاكم المطلق للبلاد، حيث أشاع امنا واستقرارا خلال حكمه لم يسبق أن شهدته البلاد، غير أن محمد علي لم يكن راضيا عن طريقة حكمه فعجل باستدعائه للقاهرة وهنالك لقي حتفه، وتقول الاشاعة أن محمد علي متورط في اغتياله بسبب نزعاته الانفصالية .

شرع محمد علي بعد استقرار الأحوال-نسبيا- في وضع نظام إداري لتسيير البلاد المفتوحة حيث شمل كل الميادين الإدارية، الاقتصادية، القضائية والعسكرية وفيما يلي تفصيل لهذا النظام:

أ-النظام الاداري:

كانت السلطة الإدارية في بلاد السودان المفتوحة في أيدي موظفين جاء ترتيبهم إداريا كالاتي:

الحكمدار أو الحاكم العام: تولى الحاكم العام في السودان الادارة وكان يتمتع بالسلطة العسكرية والمدنية المطلقة' كما تمتع بلقب الباشوية، وقد كان الحاكم العام تابعا لديوان الداخلية بمصر كما كانت لهذا المنصب ميزة خاصة وذلك في أنه تمتع بشبه استقلالية خاصة في اتخاذ القرارات حسب الظروف الواردة دون اللجوء الى مركز الحكم بالقاهرة، بالمقابل شهد هذا المنصب تذبذبا بين الالغاء والابقاء من طرف محمد علي(1)

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص48.

المديرون: حيث قسمت البلاد المفتوحة الى عدد من المديريات كان عددها مع نهاية حكم محمد علي سبع مديريات كالآتي: دنقلة، بربر، خرطوم، كردفان، سنار، فازوغلي، والتاكة وحددت حدود كل مديرية وعين مدير على رأس كل منها يساعده في شؤون مديريته موظفون من ابرزهم: الوكيل، الكاتب، القاضي، المفتي وكذا مجلس استشاري من الوطنيين[1].

الأقسام: وبدورها قسمت كل مديرية الى اقسام يدير كل منها ناظر.

المجالس المحلية: تم تعيين مجلس محلي للنظر في المسائل البسيطة في كل مدينة رئيسية من السودان، ويتكون هذا المجلس من اعيان وشيوخ قبائل وحاكم محلي يرأس هذا المجلس.

وقد عرف النظام الاداري في عهد محمد علي تأرجحا ملحوظا بين المركزية واللامركزية في التسيير واتخاذ القرارات.

ب-النظام الاقتصادي:

شمل اهتمام محمد علي على كل الميادين الاقتصادية من زراعة وصناعة اضافة الى النظام المالي، هذه الميادين تمثلت فيما يلي:

- الزراعة: نظرا لطبيعة أرض السودان الزراعية، رأى محمد علي انه لا سبيل لزيادة انتاج البلاد إلا بتحسين المزروعات ونسل الحيوانات وادخال الطرق الحديثة في كليهما وتعيين الخبراء المختصين من اجل ذلك، فبذل محمد علي جهدا كبيرا في ميدان مكافحة الآفات الزراعية، كالجراد وكذا تدريب السودانيين على طرق الزراعة الحديثة وتحسين الأنواع التي كانت تزرع من قبل، فزرع المصريون أشجار العنب والليمون والتين، كما بذلت الجهود أيضا لزراعة الارز وقصب السكر في السودان، وكذلك الشأن بالنسبة لتحسين الانتاج الحيواني فلقد تم استيراد بعض المواشي والأغنام من الخارج بهدف تحسين النسل ونموه[2].

---

(1) مكي شبيكة، السودان في قرن، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1961م، ص53.
(2) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، المصدر السابق، ص128.

- **الصناعة والتعدين:** كان الاهتمام كبيرا في مجال الصناعة والتعدين وذلك من خلال تطوير الانتاج الصناعي، فمثلا الحديد الموجود في كردفان كان يستغل بطرق بدائية فيحول الى رؤوس للسهام وبعض الآلات الزراعية البسيطة فأصبح منذ عام 1823م معظم هذا الحديد يستخدم في صناعة المسامير اللازمة لترسانة السفن[1]، بالإضافة الى استغلال باقي المعادن كالنحاس والرصاص في مجال الصناعة أما بالنسبة للذهب الموجود بجبال النوبة بمنطقة فازوغلي، فقد جهز محمد علي حملات عسكرية بهدف توسيع ممتلكاته في المناطق التي يعتقد بوجود الذهب فيها وأرسل أيضا عددا كبيرا من العمال والمهندسين لاستخراج الذهب وتصفيته.

- **النظام المالي:** اهتم محمد علي بنظام المالية اهتماما واسعا منذ بداية حملته من خلال ارساله للمستشار المالي حنا الطويل لوضع الأسس المالية والتي تركزت على موردين أساسيين هما: التجارة والضرائب:

- **التجارة:** قامت على أساس المقايضة سواء داخلية كانت ام خارجية، ومع الزيادة الملحوظة في حجم التجارة الخارجية، بدأ التعامل بالنقود من خلال انتشار العملة المصرية الفضية والجنيه المصري خاصة في المدن السودانية الكبرى.

- **الضرائب:** مثلت الضرائب عصب النظام المالي في السودان، وأول من قام بتنظيم عملية الضرائب هو المستشار المالي حنا الطويل اذ كانت قبل ذلك مضطربة وغير منظمة وذلك بسبب قسوة الحكام والقائمين على جمعها فضلا عن امتناع السكان عن تقديمها، وكانت اهم هذه الضرائب الضريبة على المواشي لأصحاب المزارع والضريبة على الرأس للرعاة واصحاب الغنم[2].

(1) Mahmoud El-Mahdi, OP, Cit, P70

(2) مكي شبيكة، السودان في قرن، المصدر السابق، ص47.

ج- النظام القضائي:

كان الشرع الاسلامي مطبقا في بلاد السودان وذلك بقدر معرفة السودانيين به وبامتداد الادارة المصرية لبلاد السودان أصبح القانون المدني والعسكري معمولا به الى جانب المحاكم الشرعية المختصة فقط بالنظر في القضايا الخاصة بالزواج والطلاق والارث، واتخذ المذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة يعمل به في القضاء والافتاء، وقد كان يرأس الهيئة القضائية في السودان -قاضي عموم السودان- الذي شغل مركز القضاء والافتاء معا وله ديوان في الخرطوم يساعده في القيام بمهامه[1].

د- النظام العسكري:

لقد كان الجيش من أكثر المسائل التي شغلت محمد علي لفترة طويلة، وكانت فكرة تكوين جيش من أهم الاسباب التي دفعت به لضم السودان فلجأ الى تكوين قوة حربية يذود بها من كل خطر، وذلك بتكوين جيش من الوطنيين السودانيين بجلب العبيد وإدخالهم سلك الجندية، إلا أنه وبتحريم الرق من الدول الاوروبية فقد مصدر هذه القوة، الامر الذي دفعه إلى تكوين جيش خليط من الاتراك والمغاربة ومن المصريين والسودانيين الشايقية والذين جلبهم من جنوب السودان ليكونوا نواة الجيش المصري حينذاك، وتزايد هذا الجيش شيئا فشيئا حتى وصل عدده سنة 1845م الى 16000جندي، أما عن دور هذا الجيش الجديد فقد تمثل في حفظ الامن والسلام في كافة ربوع البلاد المفتوحة وكذا جمع الضرائب[2].

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص51، 52 .
(2) نفسه، ص55.

4- حكام السودان في عهد محمد علي:

تعاقب على حكم السودان في عهد محمد علي الذي دام 29 عاما، ثمانية حكام وذلك فيما بين 1821م-1849م جاء ترتيبهم كالآتي:

- اسماعيل بن محمد علي باشا(13 جويلية 1821م-20 فيفري 1823م):

أحد أبناء محمد علي وهو قائد الحملة على سنار وبوصول فتوحه اليها أمره والده بتولي حكم السودان بعد ان طلب موافقة الدولة العثمانية على ذلك، وقد كانت فترة حكمه هذه من أصعب الفترات للغاية بسبب الفوضى التي أعقبت الفتح، وقد لقي حتفه حرقا على يد المالك نمر زعيم الجعليين في 20 فيفري 1823م[1].

- محمد بك الدفتردار(20 فيفري1823م- أكتوبر1824م):

هو القائد الثاني للحملة حيث وبعد وفاة اسماعيل باشا أوكلت مهام هذا الأخير إليه ولقد تميزت هذه الفترة من حكمه بالاضطرابات التي أعقبت مقتل الابن اسماعيل، وبعد اساءته إدارة البلاد عاد إلى مصر بأمر من محمد علي ليستأنف عمله بالمالية[2].

- عثمان بك جركس(15ديسمبر1824م-22أفريل1826م):

أرسل عثمان بك إلى السودان سنة 1824م لاستلام مقاليد الحكم من خلفه الدفتردار حيث كانت البلاد في حاجة إلى شخص معتدل يقضي على الفوضى والاضطرابات التي أصابت البلاد. وقد تميزت فترة حكمه بانتشار البلاء من مرض وقحط وقتل وظلم حتى أنه توفي إثر مرض السل في شهر رمضان 1241هـ - 15أفريل1826م قبل تمام السنتين من حكمه ودفن بالخرطوم[3].

- محو بك(22أفريل1826م-31أوت 1826م):

استدعي محو بك على عجل من مديرية بربر ليحل محل عثمان بك بعد وفاته ولقد قام بعدد من الأعمال الجيدة أهمها أنه قام ببناء دار للحكومة وثكنة لإقامة

(1) عبد الرحمن زكي، "حكمدارو السودان"، المجلة التاريخية المصرية، العدد الاول، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، القاهرة، مصر، 1948م، ص428.
(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص429.
(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص512، 513.

الجند بالخرطوم، وأمر بحفر الآبار لتوفير مياه الشرب في المناطق البعيدة عن النيل فتميزت فترة حكمه بالتطور والازدهار خاصة في مجال العمران، لكنه لم يكمل مهامه حيث استدعي الى مصر في نفس السنة[1].

-علي خورشيد باشا(31أوت1826م-12ديسمبر1838م):

هو ابن شقيقة محمد علي باشا استلم مقاليد الحكم من محو بك واستمر في الحكم نحو 12عاما استتب فيها الامن في السودان، وكان له الفضل في اشراك الوطنيين السودانيين في ادارة شؤون بلادهم، وقد عمل على تطوير الجانب العمراني في مدينة الخرطوم فأضحت إحدى المدن الكبرى ونظرا لاشتداد مرضه ترك منصبه وعاد إلى مصر عام 1838م إلى حين وفاته[2].

- أحمد باشا أبو ودان(13ديسمبر 1838م-25أكتوبر1843م):

يعد أحمد باشا من أقدر حكمداري السودان، حل محل علي خورشيد أواخر عام 1838م واستمر حتى عام 1843م، عرف بحزمه ونشاطه مع السودانيين، ومن أبرز الاحداث التي ميزت فترة حكمه هي رحلة محمد علي الشهيرة إلى السودان في أكتوبر 1838م إلى غاية مارس 1839م، اذ قام هذا الاخير بهذه الرحلة عن عمر يناهز 70 عاما لقي فيها الكثير من الصعاب والمتاعب وذلك جراء طول مدتها واتساع المسافة بين القاهرة والسودان، وقد قرر محمد علي إعادة أحمد باشا إلى مصر نظرا للشائعات التي دارت حول نزعته التوسعية الانفصالية لكنه رفض المغادرة، فأرسل إليه محمد علي حرسا للقبض عليه غير أنه توفي بالحمى وقيل أنه توفي بالسم الذي دسته له زوجته-ابنة الباشا محمد علي- وكان ذلك يوم 25أكتوبر1843مويعد وفاته اختل نظام الحكمدارية واستقل كل مدير بمديريته يفعل فيها ما يشاء[3].

---

(1) ابراهيم باشا فوزي، السودان بين غوردن وكيتشنر، 2ج، إدارة جريدة المؤيد للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان 1319هـ-1882م، ج1، ص44.

(2) مكي شبيكة، السودان في قرن، المصدر السابق، ص44.

(3) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص431.

- أحمد باشا المنكلي(18مارس1844م-14مارس1845م):

يعتبر المنكلي من كبار قادة الجيش المصري، تم تعيينه على رأس بعثة مصرية للتنقيب عن الذهب في السودان سنة 1843م الامر الذي أكسبه معرفة ببلاد السودان، وقد كلف المنكلي بالإشراف على الغاء نظام الحكمدارية وتقسيم السودان الى مديريات عام 1844م لكن سرعان ما تراجع محمد علي عن نظام اللامركزية وأعاد منصب الحكمدارية وعين أحمد باشا المنكلي حكمدار على السودان لكن إدارته لم تستمر طويلا حيث عاد إلى السودان في ديسمبر 1845م وشهدت فترة حكمه حملات تأديبية لبعض القبائل الثائرة[1].

- خالد خسرو باشا(14ديسمبر1845م-12نوفمبر1849م):

هو آخر حكمدار للسودان في عهد محمد علي، تميزت فترة حكمه بكثرة التنقيب عن الذهب، وصل إلى الخرطوم عام 1846م واستمر فيها إلى غاية بداية عهد عباس باشا ابن طوسون باشا بن محمد باشا، هذا الاخير الذي استدعي الى القاهرة في ديسمبر وتولى زمام مصر، بعد وفاة محمد علي في 2أوت1849م[2].

وبهذا تكون نهاية فترة هامة من تاريخ مصر والسودان تقاسم فيها هذين البلدين حكما واحدا بقيادة الباشا محمد علي والذي دام 28عاما ابتداءا من 1821م الى غاية 1849م مرت خلالها السنوات الست الاولى في الغزو، بينما استقرت في السنوات التي تلتها ادارته المركزية التي سارت بنظام حكم منظم وصارم كان قوامه الجند، وعماده الطاعة والانقياد من الاهالي، استمده من النظام العثماني المركزي.

ومن أهم ما قام به الباشا علي هو إقامته لتلك الحكومة المركزية الموحدة والقوية، والتي وضعت الاسس الاولى لتوحيد الشتات السوداني ، حيث أزال نظام تلك المماليك الصغيرة التي قسمت البلاد وأضعفت قوتها وعوضه بنظام مركزي موحد أزال الفوارق القبلية بين السكان وأتاح للسودان فرصة الاتصال بالعالم

(1) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص431.
(2) نعوم شقير، المصدر السابق، ص523.

الخارجي والتأثر بالمدنية القائمة آنذاك ، فأقبل إلى البلاد سائحون ورحالة كثر هذا وقد نقل محمد علي بلاد السودان الى ركاب الدول المتطورة حيث أستبدل ذلك الاقتصاد البدائي القائم على الرعي والصيد باقتصاد متطور عماده الزراعة والصناعة.

مقابل ما قام به الوالي محمد علي من مآثر حسان خلدت له الذكر على مر الزمان كان له من المساوئ مالا يعد ولا يحصى ذلك لما كان من شجع الحكام وطمعهم وسعيهم وراء اثراء أنفسهم على حساب رعاية شؤون الاهالي مما أشاع الرشوة والاختلاس الامر الذي خلف اثرا سيئا لسكان السودان يمتثلون به، فضلا عن الضرائب التي أثقلت كاهل السوداني الكادح في طلب قوت يومه وما تبعها من انتشار للفوضى والفساد والتي راح ضحيتها أضعاف ما كان يقتل في الحروب الاهلية. بالإضافة الى تعسف الاداريين وظلمهم والذين تسببوا في تشريد الاف العائلات من مناطق سكناهم فكان هذا سببا في هبوط مستوى المعيشة.

كما أن لضم السودان الى أملاك محمد علي أثر بالغ في النواحي العلمية حيث بدأت الرحلات الجغرافية والاستطلاعات الاستعمارية تجد سبيلها الى البلاد السودانية فمهد هذا لخضوع البلد للمستعمر الاجنبي.

الفصل الثالث

خلفاء محمد علي باشا والثورة المهدية

1- عصر عباس باشا الأول(1848م-1854م):

أ- ولاية عباس باشا الأول للحكم

ب- سياسة عباس الأول في السودان

ج- حكام السودان في عهد عباس الأول

2- عصر محمد سعيد باشا(1854-1863م):

أ- ولاية محمد سعيد باشا

ب- سياسة محمد سعيد باشا في السودان

ج- حكام السودان في عهد محمد سعيد باشا

3- عصر اسماعيل باشا(1863م-1879م):

أ- ولاية اسماعيل باشا للسودان

ب- سياسة اسماعيل باشا في السودان

ج- حكام السودان في عهد اسماعيل باشا

4- الثورة المهدية (1881م-1885م):

أ- أسباب الثورة المهدية

ب- مراحل الثورة المهدية

ج- وفاة المهدي ونهاية الحكم

انطوت حقبة محمد علي بكل ما لها وما عليها لتحل محلها حقبة من الزمن تعاقب فيها على الحكم خلفاؤه من بعده، حيث شهدت هذه الفترة أحداثا وتطورات تركت آثارها على العلاقات السودانية المصرية وكان لكل وال من هؤلاء سياسته الخاصة والمختلفة عن سياسة سابقه على غرار الظروف المحيطة بفترة حكمه.

هؤلاء الحكام هم:

1- عصر عباس باشا الأول(1848م-1854م):

أ- ولاية عباس باشا الأول للحكم:

عباس باشا هو ابن طوسون بن محمد علي، تقلد عدة مناصب إدارية سابقا، كما شارك عمه ابراهيم باشا حروبه في الشام بغية تعويده على ولاية الحكم اذ كان أكبر أفراد الاسرة العلوية سنا وأحقهم بولاية الحكم.

وبعد وفاة ابراهيم باشا(10 نوفمبر1848م) خلفه عباس باشا الأول بناءا على الفرمان المصري الذي يخول أن تؤول ولاية الحكم إلى الاكبر سنا من نسل محمد علي وكان ذلك في 24 نوفمبر1848م واستمر في الحكم خمس سنوات إلى غاية 14جويلية1854م[1].

انتهزت الدولة العثمانية فرصة انتقال الولاية لـ: عباس الأول وطلبت تطبيق القوانين العثمانية مما يعني إهدار كل الامتيازات التي كانت لمصر أيام محمد علي وما يترتب عنها من أن يتمتع الأجانب في كل من مصر والسودان بالامتيازات التي منحتها إياهم الدولة العثمانية وكذا زيادة حرية هؤلاء وتقليص سلطة الحاكم[2].

ونظرا لاضطراب أحوال السودان آنذاك التي كانت تحت حكم الحكمدار خالد باشا الذي تهاون في الادارة، اضطر عباس باشا الى أن يولي أهمية لإدارة اقليم السودان لكن هذه العناية لم ترق إلى مستوى اهتمام محمد علي بهذا الاقليم[3].

---

(1) ناصر الانصاري، المجمل في تاريخ مصر، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1993م، ص218.
(2) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق، ص27،28.
(3) عبد الرحمان الرافعي، عصر اسماعيل،2ج، ط4، دار المعارف، مصر، 1987م، ج1، ص22.

ب- سياسة عباس الأول في السودان:

أهم ما ميز سياسته هو عدم استقرار الادارة في السودان من خلال كثرة تغييره للحكمدارية، حيث ولى عددا لا يستهان به من الحكمداريين لم تتجاوز مدة البعض منهم سوى عام واحد بغض النظر عن سبب هذا التغيير؛ أهو خوفه من النزعة الانفصالية كما فعل أحمد باشا أبو ودان أو غياب وجود حاكم قوي لهذه البلاد وتعدى هذا الحزم حتى الى صغار الموظفين في الادارة السودانية حيث قرر عباس الأول، تحديد الخدمة الادارية للمصريين في السودان، فمثلا حدد خدمة العمال في دنقلة بـ :08أعوام وفي الخرطوم بـ :06أعوام، وفي كردفان وفازوغلي بـ :04أعوام، كما رسم خطة تقضي بمنع أي موظف من ترك مقر عمله قبل نهاية المدة المقررة، وحاول التخفيف من حدة الرشوة بين الاداريين والموظفين وذلك بوضع موظفين في رتب أعلى وبرواتب مناسبة[1]، وأخذ ينظم التقسيمات الادارية ففصل كل من دنقلة وبربر وجعلهما مديريتين مستقلتين ودمج كل من فازوغلي وسنار في مديرية واحدة، فضلا عن أنه أشرك السكان المحليين في إدارة شؤون البلاد بتوظيف زعماء القبائل في مناصب عليا، مثل الشيخ عبد القادر ود المزين كمعاون الحكمدارية والشيخ ابراهيم عبد الدافع الذي عين مفتيا للديار السودانية.

كما أنشأت المباني في الخرطوم ونشطت التجارة واتسعت مساحة الأراضي الزراعية، وقد عرف عباس الأول بسياسته الرجعية في مصر حيث كان يضطهد المثقفين والعلماء المعارضين له، أمثال "رفاعة الطهطاوي"[2]، كما عمل على إبطال العمل في منجم سنار لعدم جدواه بسبب ارتفاع تكاليف إنتاجه[3].

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص66.
(2) مكي شبيكة، السودان في قرن، المصدر السابق، ص56.
(3) مكي شبيكة، مختصر تاريخ السودان الحديث، ط02، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص33.

ج- حكام السودان في عهد عباس الأول:

-عبد اللطيف باشا(13نوفمبر1849م-14جانفي1852م):

اهتم بتدعيم الادارة الحكومية وترقيتها، وكان لسياسته الصارمة دور في تقليص نفوذ التجار الأجانب وإغلاق النيل الأبيض في وجه الملاحة الحرة واحتكار بعض أنواع التجارة كالصمغ وسن الفيل، مما عجل باستدعائه من السودان أوائل 1852م[1].

- رستم باشا(14 جانفي1852م-28ماي1852م):

سمي حاكما عاما على السودان سنة 1850م، وعلى الرغم من قصر مدة حكمه بيد أنه استطاع بسياسته الرشيدة أن يكسب ثقة الأهالي وزعماء القبائل، توفي بالخرطوم ودفن بها عام 1852م[2].

- إسماعيل حقي باشا أبو جبل(04جويلية1852-20أفريل1853م):

عين حكمدارا على السودان في جويلية 1852م، ويذكر عمر طوسون، أن إسماعيل حقي باشا استدعي لقيادة أحد الألوية التي أرسلت لنجدة الدولة العثمانية في حرب القرم في أفريل 1853م[3]، غير أن بعض الكتاب يذكرون أنه استدعي من السودان بسبب ارتكابه عدة مخالفات تطلبت محاكمته بتجريده من المنصب.

- سليم باشا الجزائرلي(24أفريل1853-22جويلية1854م):

تولى حكم الصعيد لمدة قصيرة استدعي خلالها للاطلاع على حكم السودان لكنه لم يستطع البقاء في السودان على إثر إصابته بالحمى، فأعيد إلى الصعيد، وقد شهدت فترة حكمه افتتاح المدرسة الأميرية بالخرطوم[4].

- علي باشا سرى الأرناؤوطي(22جويلية1854-24نوفمبر1855م):

عين حكمدارا على السودان في فيفري 1854م، وبعد مدة قصيرة عاد إلى مصر بعد أن ملأ جيوبه من مال سنار كما قيل، وقد شهدت فترة حكمه موت

(1) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص432.
(2) نعوم شقير، المصدر السابق، ص530.
(3) عمر طوسون، المصدر السابق، ص21.
(4) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص433.

عباس باشا مقتولا في قصره في ليلة 14 جويلية 1854م إثر مؤامرة حيكت لقتله[1].

هكذا كانت نهاية فترة عباس الأول، والتي شهدت عدم استقرار الإدارة بسبب كثرة تولي الحكام، إلا أنه بالمقابل لم يفتح باب الاستدانة ولم يلجأ للقرض، كما لم يمنح أي امتيازات للأجانب وهذا ما يحسب له من محاسن.

2- عصر محمد سعيد باشا(1854-1863م):

أ- ولاية محمد سعيد باشا:

هو أحد أبناء محمد علي باشا، ولد سنة 1822م نشأ وتربى في كنف والده الذي دربه كغيره من أبناءه، وقد اختار له أن يعمل في البحرية فدربه على فنونها، حتى وصل في أواخر عهد أبيه إلى منصب "أمير البحر" أي القائد العام للأسطول البحري فكان لهذه التربية أثر بالغ في تشربه مبادئ الديمقراطية.

ومنذ أن تولى محمد سعيد الحكم سنة 1854م، عمل على تقوية مركزه وكان ذلك من خلال تغيير نظام الوراثة بجعلها صلبية أي في أرشد أبنائه الذكور، وكذا توسيع نطاق الاستقلال الداخلي بتخليص مصر نهائيا من قيود الرقابة العثمانية وتدخل الباب العالي في شؤونها، إما بالانفصال عنها نهائيا أو بالاستقلال في تسيير شؤون البلاد مع التبعية الاسمية للدولة العثمانية فقط[2].

ب- سياسة محمد سعيد باشا:

كانت في عهد محمد سعيد باشا الكثير من العقبات التي وقفت عائقا في وجه الاتصال السريع بين السودان ومصر، ولذلك كان ولابد من التدخل السريع بإيجاد الحلول المرجوة في سبيل إعادة قطار التنمية في السودان إلى سكته الصحيحة ومن بين تلك العوائق ما يلي ذكره:

- إعادة التنظيم الإداري للسودان.
- القضاء على شكوى السودانيين من فداحة الضرائب.

(1) شوقي الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، 1997م، ص194.
(2) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص40-41 .

- تأمين سلامة الحدود المتاخمة للحبشة ودارفور ودفع الخطر عنها.

- وضع حد لتجارة الرقيق.

وقد كان تعيين أخيه عبد الحليم باشا حكمدار على السودان في نوفمبر 1855م أول تغيير يحدث في إدارة السودان في عهده، وكانت الغاية وراء هذا التغيير هي أن يعمل هذا الحكمدار على تعمير البلاد وينشر ألوية الأمن والعدل والأمان وفعلا، منذ وصوله للخرطوم بدأ عبد الحليم باشا بدراسة أحوال البلاد واهتم بشؤون الاهالي وأمن على أرواحهم وممتلكاتهم، لكن على الرغم من هذا لم يستمر الأمير الجديد مطولا في السودان لأنه عاد إلى مصر في ديسمبر 1856م إثر ظهور الوباء الأصفر بالسودان[1].

وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا إلى السودان لتفقد أحواله، وبدأت رحلته هذه أواخر عام 1856م، واستغرقت قرابة الثلاثة أشهر أصدر خلالها مراسيم تقضي بإصلاحات شاملة عرفت بمراسيم الخرطوم، وكان ذلك يوم 26 جانفي 1857م وأهم ما جاء في هذه الإصلاحات ما يلي:

- الاصلاح الاداري:

حرص الباشا سعيد على تحسين الإدارة الحكومية السودانية، حيث ألغى الحكمدارية فلم يرسل خلفا لعبد الحليم باشا بعد عودته بل أنه فكر في إبطال عمل الحكومة المركزية، حيث قسم السودان إلى خمس مديريات وضع على رأس كل منها مديرا يتبع نظارة الداخلية بالقاهرة، وهذه المديريات هي: الخرطوم، سنار كردفان، دنقلة، بربر، التاكة، لكنه سرعان ما أعاد منصب الحكمدارية لجنوح بعض المديرين بالاستبداد دون رادع، ولبعد الشقة بين مصر والسودان فعين موسى حمدي باشا في ماي1862م حكمدارا على السودان، كما أمر باشراك السودانيين في الحكم والإدارة وذلك من خلال إنشاء مجالس للفصل في المنازعات المحلية من قبل رؤساء العشائر ونظار القبائل بالإضافة إلى مجلس تجار في كل مديرية[2].

(1) شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل، المرجع السابق، ص 359.
(2) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص 70، 71.

- تنظيم البريد والمواصلات:

من أهم المشروعات التي طبقت بالفعل هو مشروع ربط بلاد السودان ببعضها البعض ومع مصر بالبريد، حيث أقيمت محطات على مسافات معينة لتغيير واستبدال الجمال في المواصلات، كما أمر سعيد باشا بتعبيد الطرق وتأمينها والنظر في أمر مد سكة الحديد بين إقليم بربر وسواكن، وحاول تذليل العقبات التي تعترض الاتصال النهري بين مصر والسودان وبين شمال السودان وجنوبه[1].

- الأمن:

رتب لكل مديرية ما يكفيها من الجنود حفظا للأمن وإخمادا لحوادث التمرد والعصيان، كما كون فرقا من الخيالة من عرب كردفان للمساهمة في حفظ الأمن[2].

- الضرائب:

تطلب علاج الضرائب إعادة النظر في تقديراتها بشكل عام، حيث احتكم الباشا سعيد إلى أهالي السودان وطلب منهم تحديد قدر ملائم في مقدورهم تأديته دون عناء، كما أعفى مشايخ القبائل من تأدية الضرائب مقابل عملهم في جبايتها بالإضافة إلى إعفاء أصحاب الحرف والصناعات، وإلغاء الجمارك بين مصر والسودان[3].

وكانت الغاية وراء تنظيم عملية جمع الضرائب هي التخفيف من حدة التذمر التي كان يعيشها الأهالي تجاه الحكم المصري، وإيقاف حركة الهجرة أو الهروب من زراعة الأرض تخلصا من دفع الضرائب، لكن هذه الإجراءات لم تنجح بسبب سوء تطبيقها على أرض الواقع.

---

(1) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص56.
(2) مكي شبيكة، السودان في قرن، المصدر السابق، ص62.
(3) محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1998م، ص285.

- مكافحة الرق:

كان السودان من أهم مستودعات الرقيق في القارة الإفريقية، حيث كان للأسلحة الحديثة التي أدخلها الإفريقيون أثر بالغ في اتساع نطاق الغزوات لجلب الرقيق وتصديره للعالم الجديد، وقد كان للعرب نصيب في الاشتغال بتجارة الرقيق، وأول من تاجر بذلك بعد امتداد الإدارة المصرية في السودان، تاجر من الخرطوم يدعى "الحبشي" عام1854م، بعدها اقتفى أثره العديد من التجار وأشهرهم السيد "احمد العقاد" من مصر و"علي أبو عموري" من الصعيد، "كشوك علي" التركي، ومن التجار الأوروبيين الذين ذاع صيتهم في هذه التجارة، "دي بونو" المالطي والفرنسي "مالزاك" وأكثر ما حمسهم على ذلك فتح النيل الأبيض للملاحة والتجارة دون قيود، غير أن الوضع لم يبق على حاله، اذ أنه في أوائل القرن19م أصبح ينظر إلى الرق على أنه عمل غير مشروع ولكل هذا أصدرت الدول المجتمعة قرارا بإبطال تجارة الرقيق وتجريم كل من يتاجر بها أفرادا كانوا أم حكومات وكان ذلك في مؤتمر فيينا 1815م[1].

وقد سار سعيد باشا على نهج والده بمنع تجارة الرقيق بالسودان على إثر الآراء الغربية التي نادت بتجريم تجارة الرقيق، فبمجرد توليه الحكم أصدر أوامرا إلى الحكمدار بمنع الإتجار بها كما أصدر في جانفي 1857م أمرا صريحا بإبطال غزوات صيد السود[2].

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها الباشا سعيد في سبيل القضاء على هذه التجارة بيد أنها باءت بالفشل لأسباب عديدة نذكر منها:

- الحماية التي حظي بها التجار من طرف قناصل دولهم.
- عجز الحكومة عن قمع هؤلاء التجار لانعدام الوسائل الفعالة للغرض المنشود.
- عدم بسط السيطرة الكاملة على أنحاء السودان خاصة في المناطق التي راجت فيها التجارة كدارفور وبلاد النوبة.

---

(1) جون أرنس بوكهارت، المصدر السابق، ص 252، 253.

(2) Elikia M'Bokolo, Afrique Noire Histoire et Civilisations, XIX^{e} et XX^{e}, Tomell, p206.

- تآمر المديرين على قانون تحريم الرق رغبة منهم في الحصول على الأموال من هؤلاء التجار مقابل السماح لهم بمزاولتها[1].

هذا فيما يتعلق بالسياسة الداخلية لإدارة سعيد باشا، أما عن السياسة الخارجية فقد اتبع سياسة السلام مع جيرانه سواء كانوا في الشرق أو الغرب، حيث كانت له صلات طيبة مع زعماء دارفور التي لم تكن بعد تحت الحكم المصري، أما مع الأحباش فقد تسببت تمردات القبائل في كثير من الاضطرابات على الحدود الشرقية، كما أرسل سعيد باشا مساعدات عسكرية لكل من فرنسا والدولة العثمانية.

ج- حكام السودان في عهد محمد سعيد باشا:

- علي باشا جركس(29 فيفري1855م-1857م):

تولى حكمدارا على السودان في فيفري 1855م، وشهدت فترة حكمه زيارة سعيد باشا للبلاد وما تبعها من إصلاحات، وقد عزل علي جركس بأمر من هذا الأخير حيث ألغى نظام الحكمدارية وعوضه بنظام المديريات[2].

- الأمير عبد الحليم باشا(24نوفمبر1855م-28نوفمبر1856م):

عينه محمد سعيد باشا حكمدارا على السودان، إلا أنه لم يستمر طويلا بسبب الوباء الذي عم السودان، وقد أعاد الباشا سعيد نظام الحكمدارية فعين موسى باشا حمدي في ماي 1862م حكمدارا على السودان ودام حكمه ثلاث سنوات قضى منها سنة في عهد محمد سعيد وسنتين في عهد إسماعيل باشا الذي جاء بعده[3].

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص84، 85.
(2) نعوم شقير، المصدر السابق، ص533.
(3) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 534، 535.

3- عصر اسماعيل باشا(1863م-1879م):

أ- ولاية اسماعيل باشا للسودان:

كانت أحوال السودان على شيء غير قليل من الارتباك والضعف بسبب عوامل عديدة تمثلت فيما يلي:

- ضعف الحكومة المصرية في عهدي عباس وسعيد باشا والراجع لشخصيتهما اللتي لا تقارن بشخصية محمد علي باشا، حيث افتقدت هاتان الشخصيتان إلى سياسة كاملة ومرسومة خاصة بالسودان، فكانت سياستهما عشوائية في كل الخطوات التي انخذوها.
- ضعف مركز الحكومة المصرية بسبب الاتفاقية التي فرضت الوصاية الأوروبية على مصر ابتداءا من عام 1840م.
- ازدياد نفوذ الأجانب في سلطة القرار المتخذة بشأن السودان من خلال اتساع المشاريع المالية الأوروبية على حساب الاقتصاد السوداني بالإضافة إلى وقوع البلاد في دوامة الاستدانة من الخارج رهن قرارها السياسي.

اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي باشا هو ثاني أبناء ابراهيم باشا، ولد في 31 ديسمبر 1830م بالقاهرة، أرسله والده إلى فرنسا للانتظام في سلك البعثة المصرية الخامسة، ولم يعد إلى مصر إلا في عهد ولاية أبيه، ولما توفي والده ابراهيم باشا دخل مع عمه عباس الأول في صراعات عائلية من أجل وراثة الحكم فرحل إلى الأستانة؛ وبعد مقتل عمه تولى سعيد باشا الحكم هذا الأخير اهتم كثيرا باسماعيل من خلال توليته بعض المناصب الإدارية الهامة لكنه لم يفكر يوما في ولاية الحكم بسبب أخيه الأكبر أحمد رفعت الذي حجبه عنه لكن حادثا فجائيا سنة 1858م أزال العقبة القائمة في سبيله ليكون وليا للعهد بحكم نظام الوراثة القديم، وبوفاة سعيد باشا خلفه على العرش في 18 جانفي 1863م[1].

(1) عبد الرحمان الرافعي، عصر اسماعيل، المصدر السابق، ص76.

ب- سياسة اسماعيل باشا في السودان:

اتخذ اسماعيل باشا بعد توليه الحكم سياسة ذات ثلاث مظاهر رئيسية يمكن اجمالها فيما يلي:

- توسيع رقعة الإمبراطورية المصرية في السودان ومنابع النيل وسواحل البحر الأحمر ودارفور.
- إعادة ترتيب البيت الداخلي في السودان من خلال التغيير المستمر في نوع الإدارة والإداريين.
- إحداث تقدم اقتصادي من خلال إقامة الشاريع العمرانية وإدخال الإصلاحات المالية والاقتصادية[1].

وقد سعى اسماعيل باشا منذ وصوله للحكم إلى تحقيق آمال محمد علي التوسعية في بلاد السودان، من خلال توسيع نطاق البلاد وبسط الحكم المصري في كافة أرجائه المترامية؛ فكان ذلك كما يلي:

- التوسع نحو الجنوب:

كان واضحا لإسماعيل باشا أن هناك تسابقا بين المصريين والأوروبيين للسيطرة على منابع النيل لذلك قرر ضم تلك المناطق إلى أملاكه، وعين الرحالة الأوروبي صاموبل بيكر لهذه المهمة عام 1869م مقابل راتب سنوي يقدر ب10000 جنيه مصري على أن يمتد عمله إلى سنتين[2]، وقد نجح هذا الأخير في الاستيلاء على أراضي واسعة امتدت إلى حدود أوغندا في 2 ماي 1872م[3] لكن الوقت لم يمهله للوصول إلى خط الاستواء اذ انتهت مدة عمله وعاد إلى مصر في 24 أوت 1873م[4].

واستمر اسماعيل في بحثه عن الرجل المناسب إلى أن عثر على المغامر الإنجليزي " شارل جورج غوردن " - أحد الضباط الإنجليز- فعرض عليه إدارة

(1) Hill.R, Egypt in the Sudan, Oxford, London, 1935, p23.

(2) أمل عجيل، المرجع السابق، ص65.
(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص562.
(4) نفسه.

مديرية خط الاستواء مقابل راتب سنوي قدره ألفي جنيه مصري، وقد حقق هذا الأخير العديد من النجاحات حيث وصل عام 1874م إلى الخرطوم ومنها إلى غاندكرو بعدها إلى لادو وجعلها عاصمته الجديدة، إضافة إلى أنه كسب ود القبائل الجنوبية عكس سابقه بيكر وذلك من خلال اتباعه لسياسة الود والعطف مع الأهالي، وعلى الرغم من سياسته الرشيدة إلا أنهى تسبب في ضياع أوغندا مما جعله ينهي مدة العقد ويعود إلى بلده عام 1876م[1].

-التوسع نحو الغرب:

لم تستطع مصر الوصول إلى سلطنة دارفور على الرغم من مرور أكثر من 40 سنة على سقوط الأبيض، إلا على يد المغامر الزبير رحمت من قبيلة الجعليين وبفضل جهوده عين حاكما عليها وأطلق على حكمه لقب الباشبوبة الذي يتبع الإدارة المصرية[2].

-التوسع نحو الشرق:

استأجر محمد علي باشا ميناء مصوغ وسواكن من السلطان العثماني، ولما تولى اسماعيل باشا الحكم رأى أن هذه الموانئ مكملة لإمبراطورية مصر في السودان ومورد اقتصادي هام لذلك فاوض السلطان العثماني على ضمها نهائيا إلى الأملاك المصرية مقابل مبلغ37500 جنيه مصري سنة 1865م[3].

وكان من نتائج الاستيلاء على الموانئ أن امتدت أملاك مصر في الجنوب إلى مساحات كبيرة كلفت الخزينة المصرية الكثير من الأموال والرجال.

- الإدارة:

أدخل اسماعيل باشا على التقسيم الإداري تعديلات عديدة تمثلت غالبا في التوسع وضم بلاد جديدة إلى السودان فأصبح مؤلفا من مديريات ومحافظات[4].

(1) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص80.
(2) امل عجيل، المرجع السابق، ص86.
(3) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص84.
(4) عبد الرحمان الرافعي، المصدر السابق، ص159،160.

- التعليم:

أولى اسماعيل باشا عناية فائقة بإصلاح التعليم، ففي جويلية 1863م افتتحت خمس مدارس ألحق بكل منها 100 تلميذ وكان هذا في عهد حكمدارية موسى حمدي؛ وقد امتدت جهود نشر التعليم إلى مختلف الأقاليم سواء في شرق السودان أو غربه أو جنوبه حتى أنها وصلت إلى نشر التعليم بين الرقيق المحررين وأبنائهم، بالمقابل أنشئت الكتاتيب أين يدرس القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية تماشيا مع طبيعة السكان، حيث اهتم اسماعيل باشا بهذه الكتاتيب وشجع رجال التعليم الديني وقام بدفع مرتبات شهرية للفقهاء المسؤولين عن التعليم[1].

- الاقتصاد:

بذلت جهود واسعة في كافة الميادين الزراعية والصناعية والتجارية وكان ذلك كما يلي:

- الزراعة:

كان ممتاز باشا أحد حكمداري السودان الذين اهتموا بزراعة القطن بإقليم طوكر وذلك بتشجيعه الأهالي من خلال تخفيض الضرائب عنهم وإصلاح قنوات الري.

- الصناعة والتعدين:

شجعت الحكومة إقامة المحالج والدواليب والمكابس لحلج القطن كما شجعت الصناعات المحلية من العاج وغيره من الصناعات اليدوية التي اشتهر بها السودان.

- التجارة:

ازدهرت التجارة في السودان بفضل استقرار الأمن واتساع نطاق المواصلات وكذا ازدهار الملاحة البحرية وإنشاء البيوت التجارية الكبيرة، ومن أهم المنتوجات السودانية؛ العاج وريش النعام والتبر والصمغ والجلود والمواشي غير

(1) حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1958م، ص359.

أنها تكن رائجة مثل تجارة الرقيق ازداد الطلب عليها على حساب هذه المنتوجات بفضل ما تدره من أموال[1].

كما شهد السودان إصلاحات عدة في عهد إسماعيل باشا شملت الصحة بإنشاء المستشفيات في المدن الكبرى، والعمران بإعادة تخطيط المدن وانشاء الحدائق والمدارس والمساجد، ومصلحة البريد بإنشاء مكاتب منتظمة في عواصم السودان[2]، هذا وقد نشطت الرحلات والبعثات الجغرافية في أرجاء السودان بفضل بسط سيادة مصر على وادي النيل وازدهار الملاحة البحرية في سواحل البحر الأحمر[3].

ج - حكام السودان في عهد اسماعيل باشا:

- موسى باشا حمدي(27ماي1862م- 19جويلية 1865م):

تولى الحكمدارية في السنة الأخيرة من حكم سعيد باشا، امتاز عهده بمشاركة السودانيين في الحكم، حيث عين الشيخ أحمد أبي سن مديرا للخرطوم وسنار وهو أعلى منصب يصله سوداني[4].

كما أنه قام بتنظيم الجيش في السودان وطعمه بالعنصر السوداني، وشهد عهده أيضا تأزم العلاقات مع الحبشة، وهو أول من أدخل البواخر النيلية في السودان ليستخدمها الأهالي، وقد قضى في السودان أكثر من ثلاث سنوات حيث وافته المنية في مارس 1865م بالخرطوم[5].

- جعفر صادق باشا(19 جويلية1865م- 9جانفي 1866م):

عين جعفر باشا صادق سنة 1865م، وأهم ما تم في عهده ضم فاشودة سنة 1865م وإخماد الثورة القائمة بين الجنود السودانيين المرابطين، كما أن فترته

---

(1) عبد الرحمان الرافعي، عصر اسماعيل، المصدر السابق، ص168.

(2) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص217.

(3) عبد العظيم خلاف، كشوف مصر الإفريقية في عهد الخديوي اسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م ص33.

(4) Hill, Op. Cit, p 107, 108.

(5) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 536،540.

شهدت تغييرات إدارية هامة حيث قسم السودان إلى ثلاث مديريات عين على رأس كل منها حكمدار، إلا أن مرض جعفر صادق حال دون إتمام مهمته حيث عاد إلى مصر للعلاج في 9 جانفي 1869م[1].

- جعفر مظهر باشا(9 جانفي 1866م- 30 سبتمبر 1871م):

تولى حكمدارا على السودان عام 1866م، ومن أهم ما قام به أنه أخمد ثورة الزنوج السودانيين وسار بالبلاد نحو الإصلاح فنظم الإدارة وأصلح دار صناعة الخرطوم وأنشأ المدارس، كما عرف جعفر باشا بنزاهته الشديدة وأكثر ما يدل على ذلك أن راتبه لم يكن يفي بحاجته لكثرة ما كان ينفقه على الفقراء والمساكين وقد غادر الحكمدارية عام 1871م ليعين عضوا بمجلس الأحكام بمصر[2].

- ممتاز باشا (1871م- 1873م):

تولى السودان في سبتمبر 1871م، فأدخل إليه زراعة القطن المصري لأول مرة، غير أنه أوقف عن الخدمة سنة 1873م وسجن بالخرطوم بسبب مد يده للرشوة، وقد مات بها عام 1875م[3].

- اسماعيل أيوب باشا (نوفمبر 1873م- 17 فيفري1877م):

عين حكمدارا للسودان سنة 1873م، حيث كانت له خبرة بأحوال البلاد، وقد كانت فترة حكمه هامة لما تم فيها من أعمال جليلة خاصة توسيع مناطق الحكم حيث تم تشكيل مديرية بحر الغزال وفتح سلطنة دارفور بمعاونة زبير رحمت وتنظيم إدارتها، كما تم في فترة حكمداريته تنفيذ عدة مشاريع عمرانية واقتصادية فأنشئت مكاتب للبريد ونشطت الزراعة والتجارة والصناعة، وقد بقي في منصبه لمدة أربع سنوات إلى حين تدخل السياسة الإنجليزية وإقصائه عن السودان سنة 1877م[4].

---

(1) مكي شبيكة، السودان في قرن، المصدر السابق، ص66.
(2) ابراهيم فوزي باشا، المصدر السابق، ج1، ص67.
(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص557.
(4) مكي شبيكة، تاريخ سودان وادي النيل، المصدر السابق، ص401، 402.

- غوردن باشا (18 فيفري 1877م- 8 ديسمبر 1879م):

تم تعيينه من قبل اسماعيل باشا، حيث منحه هذا الأخير السلطة المدنية والعسكرية والقضائية على السودان فكانت مهمته الأساسية محاربة تجارة الرقيق وتحديد الحدود بين السودان والحبشة وكان بذلك أول أجنبي يشغل هذا المنصب بهذه الصلاحيات، وبعد أن قضى غوردن باشا سنتين ونيف أعياه التعب وقاومته السياسة فاضطر إلى الاستعفاء من منصبه فقبلت الحكومة ذلك وعينت محله محمد رؤوف باشا (1879م-1882م) الذي قدر له أن يكون اخر الحكماريين في العهد العثماني قبل نشوب الثورة المهدية، أما عن الباشا اسماعيل فقد غادر الإسكندرية في 30 جويلية 1879م نحو منفاه نابولي بإيطاليا وبقي في المنفى بعيدا عن مصر حتى توفي بالقسطنطينية في 2 مارس 1895م[1].

(1) C. T. Wilson, M. A, Uganda and the Egyptian Sudan, Two Vol, Printed by William Clowes and Son, London, 1882, vol II, p 217.

4- الثورة المهدية (1881م-1885م):

لقد فرضت السياسة التي انتهجها الحكام المصريون في السودان نمطا غريبا لم يتماشى وطبيعة أهالي البلاد، فقد كان عماده الاستبداد والظلم، مما تمخض عنه رد فعل واضح تمثل في بروز مقاومات شعبية اتسمت في بادئ الأمر (1821م-1881م) بعدم التنسيق فيما بينها وتشتتها، وعلى الرغم من ضعف هذه المقاومات بيد أنها شكلت خلفية نضالية تولد خلالها الشعور بالانتماء القومي الذي نتج عنه فيما بعد مقاومة شاملة ومتكاملة كانت الثورة المهدية تتويجا لها(1881م-1885م) وكما يذكر تشرشل"...إنه لم يكن قبل عام1881م أي حركات تعصب في السودان بسبب البؤس...،كانوا فقط في انتظار القائد الذي يستطيع جمع الشمل والكلمة ورفع الروح المنكسرة، وفي صيف1881م ظهر هذا القائد- محمد أحمد المهدي-[1] وبدأت مرحلة أخرى في السودان..."[2].

أ- أسباب الثورة المهدية:

-السبب الديني:

كان محمد المهدي يهدف من خلال دعوته إلى جعل الدين الإسلامي هو المتمكن في الأرض محاولا إعادة زمن الخلافة الراشدة كما كان يهدف أيضا إلى إقامة حكومة إسلامية تحكم شرع الله في الأرض وتنهي الجور والفساد[3].

وهكذا نلاحظ أن الاسباب الدينية شكلت القاعدة الصلبة التي انطلقت منها الثورة المهدية والتي استلهم منها المهدي أفكار ثورته واستمال بها عقول وقلوب السودانيين

---

(1) محمد أحمد المهدي: هو أحمد محمد بن عبد الله ولد في 12أوت 1844م من أبوين دنقاويين من قبيلة تدعى الخنقية وهو من نسل ذرية رجل صالح يدعى الحاج شريف ويتصل نسبه بالإمام علي بن أبي طالب، درس الفقه والشريعة والتحق بالطريقة السمانية انغمس في الثقافة الصوفية، وقد نال أحمد المهدي حظوة عند الشيخ القرشي في الحلوين فقربه إليه وزوجه ابنته وأوحى إليه بفكرة المهدي المنتظر لأول مرة ، وبعد وفاة شيخه أصبح زعيما للطريقة السمانية وأخذ يدعو الناس إلى المهدية بسرية في مارس1881م وما لبث أن جهر بدعوته في العام الموالي فانتقل بذلك من المرحلة السرية إلى الجهرية محاكاة للرسول عليه الصلاة والسلام، توفي في22جويلية1885م.انظرنعوم شقير، المصدر السابق ص637.

(2) ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان(حرب النهر)، ترجمة عز الدين محمود، دار الشروق، القاهرة، مصر،2005، ص37.

(3) محمد بن اسماعيل المقدم، المهدي، ط8، الدار العالمية للنشر الإسكندرية، مصر، 2004م، ص426، 463.

- السبب السياسي:

يرجع الدافع السياسي للثورة المهدية أساسا إلى سوء الإدارة وفساد الحكام وعدم اتباع السياسة اللائقة بأهل السودان، كما كان لتزامن الثورة المهدية في السودان والثورة العرابية[1] في مصر الأثر البالغ في نفوس السودانيين لتحطيم قيود العبودية والذل وفسح المجال للثورة والدليل على ذلك:

- أن الثورة المهدية قامت بعد أشهر قليلة من قيام الثورة العرابية.
- أن نظام الحكم الذي ثار عليه الشعب المصري نفسه الذي ثار عليه الشعب السوداني.
- أن الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر بمروق الخديوي عن الدين الإسلامي بخيانته وانحيازه للجيش البريطاني قدمت للمهدي أكبر حجة لثورته.
- تشتت الجيش المصري بين جبهتين أفقده قوته وهيبته[2].

وهكذا نلاحظ أن الأسباب السياسية كانت بمثابة الشرارة التي ألهبت الثورة، فلم يكن هناك قانون يحكم البلاد حتى وإن وجد فلن يجد الرجل المناسب الذي يعمل به فقد كان كل شيء منهار من انتشار للفوضى والفساد والظلم والرشوة.

- السبب الاقتصادي:

كان السبب الاقتصادي من العوامل الأساسية لنشوب الثورة المهدية، وذلك من خلال السياسة الزراعية المتبعة والتي أقحمت محاصيل تجارية على حساب المحاصيل المعيشية بالقهر، وهكذا برزت التناقضات التي عجلت باتفجار الثورة المهدية[3]، بالإضافة إلى فرض الضرائب الباهظة والإتاوات غير الرسمية على الأهالي والتي لم تكن موزعة بالقسط فكانت شديدة على الفقراء وخفيفة على الأغنياء والموالين للحكم، هذا وقد كان لسياسة الاحتكار التي اتبعتها الحكومة

(1) الثورة العرابية: ثورة نشبت في مصر بقيادة الزعيم الثائر أحمد عرابي(1841م-1904م) أحد ضباط الجيش المصري الذين تمردوا على سلطة الخديوي توفيق وانطلقت هذه الثورة سنة1881م وصعب القضاء عليها. انظر عبد الرحمان الرافعي، الزعيم الثائر أحمد عرابي، ط3، دار مطابع الشعب، القاهرة، مصر، 1968م، ص35-37.

(2) محمد بن اسماعيل المقدم، المصدر السابق، ص463، 466.

(3) محمد سعيد القدال، السياسة الاقتصادية للدولة المهدية مصادرها مظاهرها تطبيقها(1881-1898م)، ط2، دار الجيل، بيروت لبنان، 1992م، ص31.

خاصة احتكار تجارة العاج وقع على الأحوال الاقتصادية[1]. ومنه كان هذا العمل المنطوي على الظلم هو النواة الأولى للثورة المهدية .

- السبب الاجتماعي:

تمثلت الأسباب الاجتماعية فيما يلي:

الانتفاضات والثورات المتواترة ضد النظام الحاكم والتي ترجمت السخط الشعبي المتزايد من الأوضاع التي آل إليها، بحيث أدخل نظام الحكم المصري العثماني بنية ثقافية جديدة ظهر فيها التفاوت الاجتماعي واضحا فبرزت فئة العلماء والفقهاء بمرتبات واستيازات خاصة، إضافة إلى إدخال نظام القضاء الشرعي والأوقاف الذي لم يكن معمولا به من قبل، كما أن دور شخصية المهدي كقائد للثورة شكل أحد أسباب احتجاج الأهالي ضد النظام، وعليه فإن الحديث عن ثورة بدون قائد لا يستقيم وواقع الحال كما لا يمكن الحديث عن قائد دون ظروف ناضجة لظهوره[2].

ب- مراحل الثورة المهدية:

يمكن إجمال مراحل الثورة المهدية في مرحلتين أساسيتين، اتسمت المرحلة الأولى بالدفاع عن معاقل الثورة ومبادئها وتحقيق انتصارات في وجه الحكومة على الرغم من حداثتها، أما المرحلة الثانية فتميزت بالمبادرة بالهجوم وتحقيق عنصر المفاجأة والانتصارات واستيلاء قوة المهدي عليها وإعلان قيام أول حكومة محلية من أبناء السودان على أنقاض الحكومة المصرية العثمانية[3].

- مرحلة الدفاع والتمكين للحركة(1881م-1883م):

شهدت هذه المرحلة عدة معارك دارت رحالها بين أنصار المهدي وقوات الحكومة التي كانت تعاني اضطرابات جراء آثار سياسة غوردون، هذه المعارك هي:

(1) Wingate, **Mahdism and the Egyptian sudan.** Being an account Of the rise and progress of mahdissm and of the subsequent events in the Sudan; Londan, 1891, p12.

(2) موسى المبارك الحسني، تاريخ دارفور السياسي(1882م-1888م)، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم الخرطوم، د.ت، ص39.

(3) Wingat, op.cit, P12.

- معركة آبا 12أوت1881م:

تعتبر معركة آبا أول معركة انتصر فيها المهدي على الحكومة المصرية، جرت أحداثها بجزيرة آبا وقد أعربت عن مقتل 120جندي و6 ضباط من كتيبة رؤوف باشا، وبعد هذا النصر قرر المهدي أن يهاجر إلى جبل قدير في جبال النوبة بكردفان فكانت هذه الهجرة نقطة تحول حاسمة في الثورة المهدية إذ نقل الثورة من الأقاليم النهرية إلى غرب السودان فأصبح بذلك أبناء غرب السودان وقودا للثورة المهدية وقادة إداريين وعسكريين لها[1].

- معركة راشد أيمن بك 9 ديسمبر 1881م:

هي أول الوقائع التي مكنت للمهدي في السودان، حيث انقض جمع المهديين على القوة التي بلغت 14000 من رجال راشد بك فقتلوا بهم وبقائدهم وجمعوا الغنائم والذخائر[2]

- معركة الشلالي 29 ماي 1882م:

جهز جيكلر باشا النمساوي بالنيابة عن الحكمدار الجديد حلمي باشا حملة قوامها 4000 مقاتل لكن المهدي علم بها وانقض عليها بجموع حاشدة بلغت نحو 15000 مقاتل يوم 29ماي1882م فقتلوا قائدهم وغنموا بالأسلحة والذخائر[3].

- معركة الأبيض جانفي 1883م:

ظهرت عدة حركات موالية للمهدي قامت بها قبائل الحوازمة، غديات، حمد البدرية، السمانية، الجوامع، والبقارة، اشتبكت فيها مع القوات الحكومية بقيادة سعيد باشا حاكم مديرية الأبيض، فوقعت معركة البركة جنوب سنار في 18 ماي1882م، وأخرى في بارا جنوب كردفان 17جوان1882م تلتها معركة الطيارة في 1882م[4] التي أسفرت عن انفتاح الطريق إلى الأبيض، حيث هاجمها المهدي في 8 سبتمبر1882م بجيش قوامه 50000 مقاتل مقابل 6000مقاتل

(1) الطيب عبد الرحمان محمد الفلاتي، الفلاتة في افريقيا ومساهماتهم الاسلامية والتنموية في السودان، ط1، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994م، ص117.
(2) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، دار علم الكتب، أم درمان، السودان، 1930م، ص195.
(3) نشرشل، المصدر السابق، ص44.
(4) ابراهيم فوزي باشا، المصدر السابق، ج1، ص103.

بقيادة اللواء محمد سعيد باشا وانتهت المعركة بهزيمة المهدي بسبب تفاوت الأسلحة، غير أنه لم يستسلم وأعاد المحاولة فحاصر الأبيض من جديد إلى أن استسلمت له ودخلها يوم 19جانفي1883م وجعلها مقر قيادته، وبهذا كانت هذه المرحلة مرحلة الاستقرار وتثبيت الحكومة الجديدة[1].

- مرحلة الهجوم وبداية الحكم المحلي(نهاية الحكم المصري1883م-1885م):

- حملة هيكس ومعركة شيكان:

أول عمل قام به وليام هيكس - بعد تعيينه رقيبا لأركان الحرب من طرف سليمان نيازي باشا- تجهيزه احملة عرفت بموقعة المرابيع في 29أفريل1883م[2]، وبعد الانتصار الذي حققه هيكس في هذه المعركة سار من الخرطوم إلى كردفان بجيش تعداده 13000مقاتل وكان ذلك في 8 سبتمبر 1883م، وبعد الاختلاف والتشاور تم الاتفاق على اتباع طريق الجنوب بناءا على فكرة علاء الدين باشا فقطع 200ميل حتى بلغ يوم 5نوفمبر1883م واديا محاطا بغابة تعرف باسم "شيكان" وهنا تم الهجوم عليهم من كل الجوانب فقتل فيها جيش هيكس برمته بما فيهم هو، ولم ينجو منهم سوى ملازمين و300 جندي[3]، وبعد أسبوع دخل المهدي الأبيض في موكب من النصر[4] وبعد معركة شيكان شعرت بريطانيا أن مصالح الامبراطورية تقتضي انسحاب مصر من السودان فورا ومن ثم أمرت الحكومة المصرية بالتخلي عن السودان وأوفدت الجنرال غوردون للإشراف على تنفيذ ذلك[5].

---

(1) عبد الرحمان الرافعي، **مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي من سنة1882م إلى سنة 1892م**، ط3، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1966م، ص120، 121.

(2) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، **تاريخ المسلمون في إفريقيا ومشكلاتهم**، معهد الدراسات الإفريقية، مصر 1996م، ص73.

(3) Abed el Fattah Ibrahim El-Sayed Beddour , **Sudanese Egyptian relation**, The Hague Martinus Nighoff, Netherlands, 1960, p 73.

(4) صلاح محي الدين، **وقفات في تاريخ السودان**، ط3، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1995م، ص120.

(5) نعوم شقير، المصدر السابق، ص726.

- سقوط الخرطوم:

سقطت بربر في يد المهدي في 26 ماي 1884م وبلغ هذا مسامع انجلترا فقررت الوزارة البريطانية إرسال حملة إنقاذ بقيادة "ويلسلي" إلا أن قوات المهدي عملت على تضييق الخناق على الخرطوم وانتهى الأمر بسقوط أم درمان في يد قوات المهدي في 5جانفي 1885م[1]، فأصبح بذلك مركز الخرطوم حرجا للغاية وعلى إثر ذلك عقد المهدي مجلسا للتشاور بشأن حصار الخرطوم أسفر عن ضرورة الهجوم الخاطف على الخرطوم، وفي اليوم الموالي هاجموا المدينة وقتلوا غوردون ونصب المهدي رأسه على خشبة، وبناءا على هذا قررت الحكومة البريطانية في 17ماي1885م إبطال كل العمليات العسكرية في السودان والانسحاب فورا من البلاد[2].

كما أقر مجلس النواب الانجليزي رسميا العدول عن فكرة استرجاع الخرطوم أصدرت الأوامر لويلسلي بالجلاء وإخلاء دنقلة[3]، عندها أصدر المهدي أمرا بالزحف عليها واحتلالها فدانت له في صيف 1885م[4].

ج- وفاة المهدي ونهاية الحكم :

توفي محمد أحمد المهدي في 22 جويلية 1885م بسبب حمى أصابته تعرف في السودان – باب دم- وقد تولى الحكم بعده عبد الله التعايشي – الذي امتدت فترة حكمه 13 عاما1885م-1898م- في وقت كثرت فيه المشاكل الداخلية والخارجية فكان لزاما عليه النظر في تلك الأزمات وأولاها مشكلة الولاء له[5].

شهدت مرحلة ما بعد المهدي تركيزا كبيرا في السلطة وحلت التصفيات الداخلية محل الصراعات القبلية خاصة في الفترة الممتدة ما بين 1885م-1893حيث

(1) محمد سعيد القدال، الامام المهدي محمد بن عبد الله 1844م- 1885م، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م ص134.

(2) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ط3، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، 2007م، ص27.

(3) Marc Lavergne, Le Soudan Contemporainde L'invasion Turco-Egyeptienne à La rebellion Africaine(1821-1989), Edition Kathala, Paris, 1989, p151.

(4) مكي شبيكة، السودان عبر قرون، المصدر السابق، ص363.

(5) ضرار صالح ضرار، المصدر السابق، ص169.

استطاع التعايشي خلالها تصفية الموقف الداخلي وتوحيد السودان تحت قبضته[1].

وبعد أن استتب له الوضع الداخلي وجه أنظاره خارج السودان، فدخل في مغامرات مع الحبشة ومصر وإيطاليا أنهكت قواه مما شجع انجلترا على العمل للاستيلاء على السودان[2].

من خلال استعراض ما سبق، بإمكاننا إعطاء صورة عامة للإدارة المصرية في السودان خلال حكم خلفاء محمد علي باشا، حيث تحملت عبئ النهوض بالبلاد قدما ولكن النزاعات الشخصية للحكام والتدخلات الاجنبية عرقلت تطور البلاد السودانية، فكانت الثورة المهدية في السودان خير تعبير على ذلك.

(1) محمد ابراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط1، قسم التأليف والنشر في جامعة الخرطوم، دار الطباعة الخرطوم، السودان، 1970م، ص37.

(2) عبد العزيز الصاوي ومحمد علي جادين، الثورة المهدية مشروع رؤية جديدة، ط1، دار الفارابي، الخرطوم السودان، 1987م، ص 131، 132.وانظر:
ابراهيم محمد زين، "الإمام عبد الرحمان المهدي دراسة حول المهدية"، مجلة التجديد، العدد 06، الجامعة الإسلامية ماليزيا، 1999م، ص209

الخاتمة

خلاصة

وفي ختام ما تم ذكره سابقا عن طبيعة العلاقة بين مصر والسودان وأهم التغيرات الطارئة على بلاد السودان خلال فترة الإدارة المصرية حتى قيام الثورة المهدية، يمكن القول أن تلك العلاقة انفردت بخصوصية ميزتها عن مختلف العلاقات الرابطة بين أي دولتين مختلفتين؛ حيث أنه لا يمكن اعتبار الوجود المصري في بلاد السودان استعمارا أو غزوا بكل ما تحمله الكلمة من معنى فالحملة المصرية لم تسعى إلى توسيع نفوذها في السودان كما تفعل كل حركة استعمارية، ولم تأت بغرض النهب ولا الهيمنة ولا للتسلط؛ وعليه يمكن أن نعتبر هذا التواجد اتحادا وتكاملا بين قطرين فرضته الطبيعة الجغرافية وبيئة الجوار وتحكمت فيه روابط تاريخية على مر الزمان ذلك أن السودان هو الجسر الرابط بين العرب و الأفارقة وجنوبه هو المعبر العربي لإفريقيا كما أن النيل الأزرق يجتمع مع النيل الأبيض في الخرطوم ويشكلان معا ذلك النهر الذي يأتي إلى مصر حاملا معه الحياة، إضافة إلى ذلك فإن حملة الباشا علي أفضت العديد من المحاسن لبلاد السودان فغطت بذلك على المساوئ التي حملتها، إذ أنها أزالت الفوارق القائمة بين الممالك السودانية الصغيرة وقضت على الحروب التي سادت بين القبائل، كما أنها خلقت إدارة موحدة وشاملة قللت من العصبية القبلية التي راجت في العهود السابقة فأتاح هذا الحكم الموحد للسودان فرصة الاتصال بالعالم الخارجي والتطلع على المدنية وكذا التأثر بها، وأكثر ما يمكن قوله هو أن الإدارة الجديدة في السودان تمكنت من تحديد شخصية الكيان السوداني الموحد وأكسبته هوية سياسية وجغرافية نشهدها اليوم، فطوال تلك الفترة توحدت أجزاء السودان ضمن إدارة مركزية شاملة تم فيها اختيار الخرطوم كعاصمة لهذا الكيان الموحد عام 1823م، كما كان للتواجد المصري بالبلاد- في ظل العلاقة الإسمية بالدولة العثمانية- الدور الفعال في الحفاظ على معالم تلك الشخصية، اذ جنبه خطر التدخلات الأجنبية وفوت الفرصة على الأوروبيين الذين توجهوا بأنظارهم إلى التغلغل في شرق إفريقيا.

كما شهدت هذه الحقبة من تاريخ السودان فترات من الطمأنينة والاستقرار تخللتها كثير من الفوضى والاضطرابات ويتوقف هذا على الرجال الذين تولوا شؤون البلاد من ولاة وحكمداريين من حيث كفاءتهم الإدارية ومدى تواصلهم مع الأهالي.

وقد كان ينظر إلى هذه الإدارة على أنها إدارة عثمانية لا تتلاءم وطبيعة السكان القبلية الأمر الذي أثار حفيظة السودانيين من خلال إعلانهم لروح العداء والثورة ضد كل ما هو مصري أو عثماني فتجسد هذا العداء فيما عرف بالثورة المهدية، التي كانت نتيجة أعمال القهر والابتزاز من قبل نظام الحكم العثماني المصري وأبرز ما نتج عن هذه الحركة هو بداية الحكم المحلي للسودان، فمثلت مهمة تحرير السودان من الهيمنة العثمانية المتمثلة في الإدارة المصرية باستبدادها في الحكم اساس تحديات هذه الثورة.

و أخيرا كل ما يمكن قوله هو أن فترة الحكم المصري العثماني لبلاد السودان ليست سوى فصلا من فصول تاريخ السودان العريق ولهذا لا أدعي أنني استوفيت الموضوع حقه واستكملت جوانبه، وكلي أمل أن تسلط الأضواء على البحث في الدراسات الإفريقية عامة و السودان خاصة .

وأرجو أن أكون قد حققت الغاية المرجوة وهي أن يقف القراء على تاريخ السودان الشقيق الذي لطالما كان في طي النسيان.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والهادي
إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم
والله المستعان القادر على كل شيء

الملاحق

الملحق: 01

خريطة توضح حدود وموقع السودان من القارة الإفريقية [1]

(1) شوقي أبو خليل ، أطلس دول العالم الإسلامي جغرافي تاريخي اقتصادي ، ط 2 ، دار الفكر، دمشق ، سوريا 2003م ، ص 62 .

الملحق: 03

الباشا محمد علي [1]

(1) الياس الأيوبي، محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، نشر إدارة الهلال، مصر، 1923م، ص2.

السيميوغرافيا

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1 ـ باللغة العربية:

1ـ الأيوبي الياس ، محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، نشر إدارة الهلال، مصر، 1923م.

2ـ التونسي محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان في سيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر مصطفى محمد مسعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر مصر،1965م.

3ـ الحسني موسى المبارك، تاريخ دارفور السياسي(1882م-1898م)، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، الخرطوم، د.ت.

4ـ الرافعي عبد الرحمان، الزعيم الثائر أحمد عرابي، ط3، دار مطابع الشعب، القاهرة مصر، 1968م.

5ـ ــــــــــــ، عصر اسماعيل، ج2، ط4، دار المعارف، مصر،1987م.

6ـ ــــــــــــ، مصر والسودان في أوائل الاحتلال تاريخ مصر القومي1882م -1892م، ط3، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1966م.

7ـ باشا سلاطين، سيف النار في السودان، دار عالم الكتب، ام درمان، السودان 1930م.

8ـ بك المحامي محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

9ـ بوكهارت جون لويس، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1959م.

10ـ تشرشل وينستون، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان(حرب النهر) ترجمة عز الدين محمود، دار الشروق، القاهرة، مصر،2005م.

11ـ شبيكة مكي، السودان عبر القرون، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م.

12ـ ــــــــــــ، السودان في قرن، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر، 1961م.

13- ـــــــــ، **تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن19م**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د.ت.

14- ـــــــــ، **مختصر تاريخ السودان الحديث**، ط02، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

15- ـــــــــ، **مقاومة السودان للغزو والتسلط**، معهد البحوث والدراسات، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر، 1972م.

16- شقير نعوم ، **جغرافية وتاريخ السودان**، ط1، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1967م.

17- شكري محمد فؤاد ، **مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ميلادي 1820م-1899م**، ط3، دار المعارف، القاهرة، القاهرة، مصر 1963م.

18- ضرار صالح ضرار، **تاريخ السودان الحديث**، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م.

19- طوسون عمر، **الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا**، ط3 مطبعة المستقبل، الإسكندرية، مصر، 1935م.

20- فوزي ابراهيم باشا، **السودان بين غوردن وكيتشنر**، 2ج، إدارة جريدة المؤيد للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، 1319هـ-1882م، ج1.

21 - كركوكي محمد مهري، **رحلة مصر والسودان**، مطبعة الهلال، مصر، 1914م.

22- محمود حسن، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، ج1، دار المعارف، القاهرة مصر، 1958م.

23- محي الدين صلاح، **الشيخ عجيب والدولة الإسلامية في سنار**، ط3، مكتبة الهلال الإسكندرية، مصر، د.ت.

24- ـــــــــ، **وقفات في تاريخ السودان**، ط3، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان 1995م.

2 - باللغة الأجنبية:

25-C. T. Wilson, M. A, **Uganda and the Egyptian Sudan**, Two Vol, Printed by William Clowes and Son, London, 1882, volll.

26-Hill.R, **Egypt in the Sudan**, Oxford, London, 1935.

27-Hubert des champs, **L'afrique Noire Précoloniale**, presses universitaire de France paris, France, 1962,

28-Johnston, H, **The Nile Weast**, London, 1904,

29-Mahmoud El mahdi , **A Short History Of Sudan**, Oxford Univesily Press, London ,1965

30-Wingate, **Mahdism and the Egyptian sudan**. Being an accourt Of the rise and progress of mahdissm and of the subsequent events in the Sudan; Londan, 1891.

ثانيا: المراجع:

1 - باللغة العربية:

31- أبو القاسم حاج محمد محمد ، **السودان-المأزق التاريخي وآفاق المستقبل**، ط1، دار الكلمة للنشر، لبنان، 1980م.

32- أبو خليل شوقي، **أطلس دول العالم (جغرافي، تاريخي، اقتصادي)**، دار الفكر، سوريا ط1، 1999م.

33- ــــــــــ، أطلس دول العالم الإسلامي جغرافي تاريخي اقتصادي ، ط 2 ، دار الفكر، دمشق ، سوريا ، 2003م.

34- ابو سليم محمد ابراهيم، **الحركة الفكرية في المهدية**، ط1، قسم التأليف والنشر في جامعة الخرطوم، دار الطباعة، الخرطوم، السودان، 1970م.

35- الانصاري ناصر، **المجمل في تاريخ مصر**، ط1، دار الشروق، القاهرة مصر، 1993م.

البسملة .....

الإهداء .....

الشكر والعرفان .....

المقدمة 6- 10

الفصل الأول: السودان قبل حملة محمد علي: (12- 29)

1 - السودان جغرافيا:.....12- 17

أ - التسمية.....12

ب- السكان.....14

ج - الموقع الجغرافي.....15

2 – السلطنات والممالك في السودان:.....18-21

أ- مملكة الفونج.....18

ب- مملكة الفور.....19

ج- سلطنة تقلي.....20

د - سلطنة الكشاف في النوبة.....20

3 – السودان تاريخيا:.....21- 25

أ- حضارة المجموعتين الأولى والثانية.....21

ب - التفاعل مع شبه الجزيرة العربية.....22

ج - المجموعة الحضارية الثالثة.....22

د - دخول الإسلام السودان.....22

4- جذور العلاقات المصرية السودانية:.....25- 29

الفصل الثاني: حملة محمد علي باشا على السودان:(31- 48)

1- أسباب حملة محمد علي باشا على السودان:.....31- 34

أ - الحاجة إلى الجنود.....31

ب- الثروة الذهبية.....32

ج - استئصال المماليك.....32

د ـ حماية و استغلال مياه النيل.....33
هـ ـ التحكم في منافذ البحر الأحمر.....33
و ـ تنشيط التجارة.....34
ي ـ تأسيس إمبراطورية.....34
2- سير حملة محمد علي إلى السودان:..... 35 - 40
أ ـ جيش اسماعيل باشا والحملة على سنار.....35
ب ـ جيش الدفتردار وحملته.....39
3- الإدارة العثمانية المصرية في السودان:..... 40 - 43
أ ـ النظام الاداري.....41
ب ـ النظام الاقتصادي.....41
ج ـ النظام القضائي.....43
د ـ النظام العسكري.....43
4- حكام السودان في عهد محمد علي:.....44 - 48
الفصل الثالث: خلفاء محمد علي باشا والثورة المهدية:50 -71)
1- عصر عباس باشا الأول(1848م-1854م):.....50 - 53
أ ـ ولاية عباس باشا الأول للحكم.....50
ب ـ سياسة عباس الأول في السودان.....51
ج ـ حكام السودان في عهد عباس الأول.....52
2- عصر محمد سعيد باشا(1854-1863م):.....53 - 57
أ ـ ولاية محمد سعيد باشا.....53
ب ـ سياسة محمد سعيد باشا.....53
ج ـ حكام السودان في عهد محمد سعيد باشا.....57
3- عصر اسماعيل باشا(1863م-1879م):..... 58- 64
أ ـ ولاية اسماعيل باشا للسودان.....58
ب ـ سياسة اسماعيل باشا في السودان.....59

ج- حكام السودان في عهد اسماعيل باشا.....62
4- الثورة المهدية (1881م-1885م):.....65 - 71
أ- أسباب الثورة المهدية.....65
ب- مراحل الثورة المهدية.....67
ج- وفاة المهدي ونهاية الحكم..... 70
الخلاصة.....73 - 74
الملاحق .....76 - 78
البيليوغرافيا .....80 - 86
الفهرس.....88 - 90